

مراحل التطور الفكري في حياة
سيد قطب
رحمه الله
تأليف الشيخ
حسين بن محمود
حفظه الله
دار الجبهة
للنشر و التوزيع
شعبان 1429هـ

"أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب : نصفه لله ، ونصفه للدنيا"

"سـيّد قطب رحمه الله"

مراحِل التطوّر الفِكْري

فِي حياة سيّد قُطبْ رحمهُ الله

كتبه

حسين بن محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كانت رحلتي مع هذه الرسالة شيّقة ومؤلمة في نفس الوقت !! رحلة غُصْتُ فيها لجج الأدب الرفيع والفكر القويم ، وخضت بها بحر العقيدة في ظلال القرآن بسفينة الفكر العبقري .. رحلة مع قبطان التجديد الدعوي العملاق .. رحلة مع إنسان عاش الدين بقلبه وعقله ووجدانه ، ولقي في سبيله ما لقي من السجن والتنكيل الذي يذكّرنا بصاحب الصخرة على رمضاء مكة

وهو يهتف بأعلى صوته في وجه الكفر والظلم والطغيان "أحدٌ أحدْ" ، ليقف هذا الخلَف شامخاً على طريقة السلف في وجه "ابن خلف" الذي وضع على صدره صخرة السجن والقهر والتعذيب ليهتف بين الورى "**الحكم لله الواحد الأحد**" ..

لا أذكر كم مرّة وأنا على فراشي أتقلّب بين نوم ويقظة لتخطر لي جملة تحتاج تقييداً بين جمل هذه الفقرات فأقفز من مكاني وأمسك بحبل فكري لأُقيّد هذه الكلمات قبل أن تُفلت مني ، وقد فلتت كثير من العبارات التي ندمت على عدم تقييدها ..

لا أدري كم مرة تركت لقمة لم تصل فمي لأحبس أنفاسي على خاطرة هي لا شك أغلى من تلك اللقمة في يدي !!

كان سيد رحمه الله – في هذه الفترة – معي في السوق و في البيت و في الشارع و في المجالس وبين الأصدقاء و في المسجد و في حِلّي وترحالي ، وكان معي حتى أثناء قراءتي لكتاب ربي ، فما أمر على بضع آيات حتى أتذكره وتسألني نفسي : ماذا قال سيّد قطب رحمه الله في هذه الآيات وكيف ربطها بواقع الناس ، فأيمم بعدها شطر مكتبتي لأفتح الظلال فأستظل بكلماته العطرة !!

* * *

من هو سيّد قطب ؟!

■ هو أوّل من وضع مصطلح "العدالة الإجتماعية" في الإسلام بدلاً من "الإشتراكية" التي افتتن بها أبناء جيله ..

■ هو أول من أظهر للناس "التصوير الفني في القرآن" بأسلوبه الجمالي البديع ..

■ هو أشهر من وقف في وجه طغاة القرن المنصرم ، فأمر ونَهى حتى قُتل ..

■ هو أشهر من وضع للناس تفسيراً فكريّاً سياسياً حركيّاً اجتماعياً اقتصادياً للقرآن بروح أدبية ونظرة واقعية علمية ..

■ هو أشهر مَن بذل دمه في سبيل كلماته لتحيى بوفاته ، في القرن المنصرم ..

■ هو بحق ، وبلا منازع : مجدد فقه الدعوة والسياسة الشرعية في زمانه ، ومعلّم جيله والأجيال من بعده ثمن الكلمة التي فقدت قيمتها في عصر العبارات الجوفاء ..

الناس مع سيّد ..

○ رأيت أناساً يلمزون فكره !!
○ رأيت أناساً ينتقدون تراثه !!
○ رأيت أناساً يفنّدون آراءه !!

إلى أن وصل الحال ببعضهم أن وضعه في الميزان ، وأبعده عن الجنان ، وألقاه في النيران ، وكأن هذا البعض ملك الحساب في يومٍ يقوم الناس للملك الديّان !!

وفي المقابل رأيت أناساً جعلوه في عليّين !! ورفعوا درجته في المهديين !! وجزموا بمكانه في عالي الجنان مع الشهداءِ والصدّيقين !!

فانقسم الناس فيه قسمين :

قسم حكموا عليه بالحرمان ،

وقسم رموا تحت رجليه صكوك الغفران !!

هذه الكلمات هي محاولة بسيطة ومتواضعة للتعريف بسيّد وبراثه الحي الذي خلّفه للأجيال من بعده ..

محاولة خجولة لفتح باب الفكر ، أو غلق باب الجهل ..

ولكن ، قبل الكلام عن تراث سيّد رحمه الله ، لا بد لنا من التعرّف على سيّد نفسه ..

مرّة أخرى ...

من هو سيّد قطب ؟!

اسمه : سَيّدْ بن قُطْب بن إبراهيم بن حسين شاذِلي ..

مولده : ولد في قرية "موشَة" (أو موشا) إحدى قرى محافظة "أسْيوط" المصرية بتاريخ (9\10\1906م) ، ويصادف (يوم الثلاثاء 20 أو 21 شعبان 1324هـ، هذا على وجه التقريب) ، فهو أكبر من شقيقه محمد بثلاثة عشر سنة .. أسرتة متدينة محافظة وجيهة ، ويقال أن جده السادس "الفقير عبد الله" أصله من الهند ، والله أعلم[1] ..

[1] – نقل هذا عن سيّد قطب الشيخ أبو الحسن الندوي ، ولكن شقيق سيد الشيخ محمد قطب لم يُسلّم بذلك ..

دراسته : درس الإبتدائية في قريته ، وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات بمجهود فردي (وقصته في حفظ القرآن عجيبة) ، ثم انتقل إلى القاهرة في سن الرابعة عشر ، ودرس في مدرسة "المعلّمين الأوّلية" ثلاث سنوات نال منها إجازة "الكفاءة" للتعليم الأوّلي ، ثم التحق "بتجهيزية دار العلوم" (سنة 1925م). ودخل كلية "دار العلوم" سنة (1929م)، وتخرج منها عام (1933م) بشهادة البكالوريوس في الآداب.

حياته المهنية : عمل مدرّساً في مدارس وزارة المعارف حوالي ست سنوات ابتداء من سنة 1933م، ثم انتقل إلى وزارة المعارف (سنة 1940م) وعمل في عدة مناصب : في مراقبة الثقافة وفي التفتيش.

أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا في بعثة تربوية ميدانية للإطلاع على مناهج التربية والتعليم هناك ، وأقام في أمريكا سنتين (1948-1950م). اختلف مع كبار موظفي وزارة المعارف ، وقدّم استقالته من الوزارة (سنة 1952م) أي : بعد قيام الثورة بشهور ، وبعد خدمة قاربت التسعة عشر عاماً.

حياته الحركية : انتظم في شبابه مع حزب الوفد ، وبقي فيه حتى عام 1942م ، ثم انضم إلى حزب "السعديين" ، ثم تركه وبقي عشر سنوات بدون إنتماء فِعْلي لأي حزب ، ثم انتظم في حركة الإخوان المسلمين سنة 1953م ، وكان بمثابة الموجه الفكري والتربوي للحركة ، وتسلّم قيادة "النظيم الإخواني الجديد" عام 1964م ..

حياته الفكرية : كان في بداية شبابه منكبّاً على الأدب والشعر ناقداً ومؤلفاً ، وكان واسع الإطلاع على المدونات الأدبية والفكرية الشرقية منها والغربية ، وكان من نتاج كثرة اطلاعه على العلوم غير الإسلامية أن مر بمرحلة تيه فكري لسنوات ، ثم أقبل على القرآن في الأربعينيات من

عمره لدراسته دراسة أدبية فكرية نظرية ، ثم قاده القرآن للعمل والحركة والدعوة والتأثير والتأليف ، وكان من أعظم منظّري الثّورة المصرية ، ولمّا عرف نواياهم الخبيثة تبرّأ منهم وابتعد عنهم وأصابه ما أصابه منهم من تعذيب وتنكيل ، ثم إعدام ..

صفاته الخَلقية : كان رحمه الله ربعة من الرجال ، و لم يكن سميناً أو نحيفاً ، وكان يميل إلى السمرة ، اجتمعت عليه الأمراض العضوية في الرئتين والأمعاء وغيرها ما أجهد جسده طوال حياته ..

صفاته الخُلُقية : كان شهماً كريماً شجاعاً صاحب مروءة ، عزيز النفس ، ذو أنفة ، لا يرضى بالضيم ، عنيداً شديد التعصّب للحق ، هذا مع هدوء في الطبع وتواضع ورقّة في الروح وذكاء مفرط وبُعد نظر وحُسن منطق وبيان وترتيب وواقعية ، قال من عاشره[1] "كان سيد قطب رحمه الله رحيماً ، لا يغضب إلا للحق . و ما رأيته مرة واحدة غاضباً ، عفّ اللسان حتى عند ذكر أعداء الله ، لطيف المجلس ، حلو المعشر ، لا تفارقه الابتسامة الوقور ، ذو دعابة مؤدبة ، رقيق المشاعر ، مرهف الحس ... إذا سألت أو ناقشت يستمع إليك ، حتى تنتهي من كلامك تماماً ، ولا يقاطعك ، ولا يعرض برأيك ولو خالفته الرأي ، ولا يرفع صوته حتى ولو رفعت صوتك ، ولا ينفعل حتى لو انفعلت ...." .

نقطة التحوّل : حدثت حادثتان لسيّد أثناء وجوده في أمريكا جعلته يعزم على العمل الحصري للإسلام والإنضمام أخيرا للإخوان المسلمين !! الحادثة الأولى : مقتل الإمام حسن البنا ، حيث احتفلت أمريكا ورقصت طرباً لموت البنّا وكتبت الجرائد والمجلات عن موت عدو الغرب الأوّل في الشرق الأوسط !! والحادثة الثانية لقائه مع رجل المخابرات البريطاني "جون هيوورث دن" في بيته حيث حذّر "دن" سيّداً من الإخوان المسلمين و من مغبة إمساكهم بزمام الأمور في مصر

[1]– وهو الأستاذ أحمد عبد المجيد ، أحد قادة التنظيم الإخواني الجديد ..

وقدّم له معلومات دقيقة عن التنظيم وأهاب به أن يقف وأمثاله من المثقفين المصريين في وجه الإخوان المسلمين !! عندها أدرك سيّد صدق دعوة الإخوان وكيد أعداء الأمة بهم ، وفي بيت هذا الإنجليزي قرر سيّد قطب رحمه الله – في قرارة نفسه – الإنضمام للإخوان المسلمين ..

محنته : كان أول اعتقال له مطلع سنة (1954م) ، ثم اعتقل بعدها في نفس السنة ، ثم حكمت عليه محكمة الثورة (سنة 1955م) بالسجن خمسة عشر سنة ، وقال سيّد مستهزئاً بعد صدور الحكم "إنها مدّة قليلة ، فأين حكم الإعدام" !! ، وقضى معظم هذه الفترة في مستشفى سجن "ليمان طُرّة" لإصابته بأمراض كثيرة حتى أُفرج عنه بعفو صحي بعد تدخل الرئيس العراقي "عبد السلام عارف" سنة 1964م ، ثم أعيد مرة أخرى للسجن سنة 1965م بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم ، ولاقى أصناف التعذيب والتنكيل مع شدة المرض وكبر السنّ ومع تقديم المغريات له ، فثبت رحمه الله رغم كل الظروف حتى صدر الحكم بإعدامه في 21\8\1966م ، وهنا أطلق سيد ابتسامة التقطتها عدسات المصورين لتكون ذكرى خالدة للبشرية .. قامت ضجة كبيرة في العالم الإسلامي بسبب هذه المحاكمات وخرجت المظاهرات في العواصم الإسلامية وأحرقت سفارتي مصر في الخرطوم وإسلام آباد ..

وفاته : أُعدم – رحمه الله – فجر يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة 1386هـ الموافق 29\8\1966م ، أي بعد أسبوع من صدور الحكم !! فعاش رحمه الله تسعة وخمسون سنة وعشرة أشهر وعشرون يوماً ، وصلى المسلمون صلاة الغائب عليه في مشارق الأرض ومغاربها ، وأصدرت الكثير من الصحف والمجلات الإسلامية أعداداً خاصة عن سيّد قطب رحمه الله ، وحدثت نكبة "1967م" بعد وفاته بقرابة سنة ، وقال حينها علّال الفاسي "ما كان اللهُ لِيَنصُرَ حرباً يقودها قاتل سيّد قطب"[1] .. نسأل الله أن يتقبله في الشهداء ، وأن يعامل من آذاه بعدله.

[1] – ذكره الزركلي في ترجمة سيّد في "الأعلام" ..

هذه نبذة بسيطة جداً عن حياة سيّد رحمه الله ، تلك الحياة العامرة بالحركة والتفاعل الإيجابي مع المتغيرات الإقليمية والساحة الدولة في حقبة هي الأكثر تأثيراً في تاريخ العالم الحديث ..

فقد أدرك سيّد الحرب العالمية الأولى صغيرا ، ثم فاجعة سقوط الخلافة الإسلامية وإلغاء الحكم بشرع الله ، ثم أدرك الحرب العالمية الثانية رجلاً ، ثم احتلال فلسطين وقيام دول عظمى و سقوط أخرى وثورات ومؤامرات وغدر وخيانة بالأمة وظلم و جبروت وعمالة للعدو ، وكان سيّد رحمه الله متفاعلاً مع الأحداث بعقل حي وقلب غيور على مصالح أمته رغم ما ألمّ به من مرض وبلاء ومِحَن طوال حياته ، فكان عدواً لكل ظالم ، صديقاً لكل مظلوم ، يفتك بقلمه وفكره غشاء الظلم المتهالك ما أغضب أهل المكر والغدر ليكيدوا به حتى أعدموه ، ليمكر الله لسيّد ، فتبقى كلماته حيّة ، وكلمة الذين كفروا منسيّة ، وأحيا الله بموت سيّد ملايين القلوب ..

المشكلة التي نواجهها اليوم هي غياب تسجيل دقيق لحقبة خطيرة من تأريخ أمتنا الحديث ، وأقصد حقبة ما بين (1925 إلى 1975م) ، فقد منعت الحكومات الكتابة عن حقائق هذه الحقبة وملابساتها ، وأعملت سيف الرقابة في كل ما يُكتب عنها ، بل تعدى الأمر إلى إحراق وإتلاف الكتب في المطابع[1] ، والذين يتكلمون عن تلك الحقبة من الذين عاصروها يتكلمون بكثير من التحفظات بسبب الخوف ، وبعض من فرّ إلى البلاد الغربية كتب عن تلك الحقبة ولكن مُنعت كتبه من الإنتشار وحوصرت !! وهكذا أُريد لهذه الحقبة أن تختفي من ذاكرة المسلمين ليصبغ الطغاة وجوههم بكل أصباغ الزينة ، فيُخفوا تلك الوجوه القبيحة عن الناس !!

* * *

[1] – كما حدث لأجزاء من كتاب "التأريخ الإسلامي" لمحمود شاكر ، تلك الأجزاء التي كان مضمونها التأريخ الحديث للشام وجزيرة العرب ، فقد أُحرق أصل الجزئين مع المطبعة ..

عودة إلى سيّد رحمه الله ...

لم يكن سيّد الذي نعرفه : سيّداً في جميع أطوار حياته ، فقد مرّ سيّد قطب رحمه الله في حياته بمراحل أو أطوار نستطيع حصرها في ثلاثة : طور التيه والضياع الفكري ، ثم الطور الأدبي الإسلامي ، ثم الطور الإسلامي العملي أو "الحركي" . ولنتحدث عن كل طور بإيجاز :

مراحل الأطوار الفكرية عند سيّد قطب :

الطور الأوّل: **طور التيه والضياع الفكري** ، وهو من سني الدراسة الثانوية (1925م) إلى سنة (1940م) ، كان هذا الضياع الفكري نتيجة لانتشار الثقافة الغربية وتمكنها من جيل تلك الحقبة ، ولكن سيداً القروي الأصيل لم يسقط في الجانب السلوكي ، وإنما كان هذا التيه فكرياً بحتاً[1] ، وكتب سيد في هذه المرحلة مقالات وكتب عديدة ، وكان ملاصقاً لأستاذه العقّاد منافحاً ومدافعاً عنه ، فأخذ هذا منه جل وقته وغلب على فكره .. ومما ألّف سيد في هذه المرحلة من الكتب :

[1] – لم يكن سيد هو الأول ولن يكون الأخير الذي مر بمرحلة التيه والضياع وعدم الإستقرار الفكري في مشواره الثقافي ، فهذا الشيخ الأديب "محمود محمد شاكر" رحمه الله يذكر في كتابه "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" أنه مر بمرحلة "حيرة زائغة وضلالة مضنية وشكوك ممزقة ..." استمرت لعشر سنوات !! وهذا كثير في العلماء والأدباء ، فهذا الفضيل بن عياض عابد الحرمين كان قاطع طريق يخافه المسافرون ، وبعض كبار علماء الأمة تأثروا بالفلاسفة وعلم الكلام واختلطت عليهم الأمور ولم يرجعوا إلى الحق إلا في أواخر حياتهم ..

1-"**مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر**" : كتبه وهو في السنة الثالثة في الجامعة. (ط 1933م)

2- "**الشاطئ المجهول**" : وهو ديوان شعر (ط 1935م) ، ولعله يمثل قمة التيه والضياع الذي يظهر واضحاً في كلمات سيّد وتعبيراته ..

3- "**نقد كتاب : مستقبل الثقافة في مصر**" الذي ألّفه طه حسين. (ط 1939م)

الطور الثاني : **الطور الأدبي الإسلامي** : بدأ سيّد في هذه المرحلة دراسة القرآن وبعض الدراسات الإسلامية ، وكان في مرحلة التكوين العلمي الشرعي ، وألّف بعض الكتب التي تحتاج إلى إعادة نظر في بعض جوانبها الشرعية ، ولكونه تثقّف بثقافة عصره وقطره : وقع في بعض الأخطاء التي لم يسلم منها مَن كان مثله أو حتى أفضل منه في هذه الجوانب ، ولكن لم تغب عنه في هذه الفترة : الثقافة الأدبية وحب الأدب ، وقد أخرج في هذه الفترة الكتب التالية :

1-"**التصوير الفني في القرآن**" : وهو أول كتاب له في موضوع إسلامي (ط 1945م) ، وقد قدّم القرآن بأسلوب أدبي رفيع قل نظيره ، وأهداه لوالدته ، رحمهما الله .. يقع الكتاب في (259) صفحة من القطع فوق الصغيرة ، وفي هذا الكتاب عبارات قليلة لا يوافق عليها شرعاً ، ولكن سيداً في هذا الوقت لم يكن كاتباً إسلامياً بالمعنى الذي سيظهر في آخر حياته ، بل حاول في هذا الكتاب دراسة آيات من القرآن دراسة أدبية بحتة باستخراج جمالياتها وتصويراتها الفنيّة [1]..

---

[1] – ورغم هذا ، فقد قدّم الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله شهادة لهذا الكتاب ولكاتبه قلما تُعطى من أديب لأحد أقرانه ، فقال رحمه الله : "كتاب التصوير الفني في القرآن فتح والله جديد ، وسيد قطب وقع علي كنز من كنوز القرآن ، كأن الله ادخره له فلم

2-"**الأطياف الأربعة**" : مع حميدة ومحمد وأمينة قطب ، في الأدب (ط 1945م)

3-"**طفل من القرية**"[1] : وهو تسجيل لحياته في القرية. (ط 1946م) ، وصاغ هذا التسجيل بأسلوب أدبي جميل ..

4-"**المدينة المسحورة**" : قصة خيالية. (ط 1946م).

5-"**كتب وشخصيات**" : في النقد الأدبي (ط 1946م).

6-"**أشواك**" : قصة سيد مع خطيبته ، (ط 1947م)

7-"**مشاهد القيامة في القرآن**" : (ط 1947م) .. وهو تفسير صغير عجيب لآيات قرآنية موضوعها موضوع الكتاب ، وأهداه سيّد لروح أبيه ، رحمهما الله .. يقع الكتاب في (273) صفحة من القطع الصغيرة ..

8-"**روضة الطفل**" : قصص للأطفال (ط 1947م)

9-"**القصص الديني**" : للأطفال (ط 1947م)

10-"**الجديد في اللغة**" : في مناهج اللغة العربية لطلبة المدارس .

11-"**الجديد في المحفوظات**" : مثل سابقه ، وكانا من مقررات الوزارة المصرية لطلبة المدارس.

12-"**النقد الأدبي أصوله ومناهجه**" : (ط 1948م) .. يقع الكتاب في (256) صفحة ..

يعط مفتاحه لأحد قبله ، حتى جاء هو ففتحه ..." ، ولعل هذه مبالغة من الشيخ الطنطاوي رحمه الله ، ولكن كلماته تحكي شدة إعجابه – كعالم أديب – بهذا الكتاب القيّم ..

[1] – وقد طبع الكتاب مؤخراً عن طريق "منشورات الجمل" بكولونيا الألمانية في 155 صفحة من القطع المتوسط !! أما طبعته القديمة فهي نادرة جداً ، بل تكاد تكون في حكم المعدوم ..

13-"**العدالة الإجتماعية في الإسلام**" : (ط 1949م) قبل سفره لأمريكا. وهو أول من أطلق لفظ "العدالة الإجتماعية" بدل "الإشتراكية" التي كان يستخدمها الكُتّاب في عصره للدلالة على موافقة الإسلام للإشتراكية (في نظرهم) ، وانتقده محمود شاكر لإساءته لبعض الصحابة في هذا الكتاب ، وحُذفت فقرات الإساءة في طبعة سنة 1964م في حياة المؤلف (الطبعة السادسة). ، وقيل ان سيّداً تبرأ من هذا الكتاب بعد أن زاد تعمقاً في العلوم الشرعية ، والله أعلم[1] .. و من قدر الله أن يتوقع سيّد في هذا الكتاب أن تسيطر الشيوعية على العالم ثم يكسرها الإسلام ، و لم يعش سيّد رحمه الله ليرى أن الشيوعية – التي كانت ناراً في هشيم عقول البشرية في وقته – انكسرت على أيدي شباب درسوا وتشبعّوا بفكره ونهلوا من كتبه !! والكتاب فيه من العمق السياسي والبعد النظري والتحليل الإقتصادي ما ينبئ عن ميلاد مفكّر عبقري فذ .. يقع الكتاب في (216) صفحة من القطع المتوسطة ..

ونلاحظ هنا أن سيّداً لم يقتحم التأليف الشرعي في هذه الفترة (من 1945 إلى 1950) بثقِله ، وذلك لإدراكه بأنه في طور التكوين الشرعي (إن صح التعبير) ، فجل مؤلفاته في هذه الفترة في الأدب ، وختم هذه الفترة بكتاب "العدالة الإجتماعية" ليرد على بعض المفاهيم المكذوبة على الشريعة الإسلامية في عصره بأسلوبه الفذ ، ولكنه صادف بعض النقد الذي ما فتئ كونه سيفاً في يده سلّهُ على أعمال غيره من الأدباء من قبل ..

---

[1] – جاء ذلك في رسالة أرسلها الشيخ محمد قطب لأحدهم ، وسوف تأتي الرسالة في هامش الكلام عن كتاب "مقومات التصور الإسلامي" ..

أدرك سيدٌ أن هذه المعركة ليست أدبية ، فأخذ جانب الحيطة والحذر في كتاباته التالية حتى تمكّن من صقل مواهبه وصقل قدراته ، وحتى فاق أقرانه وأصبح سلاحاً فتّاكاً في وجه أعداء أمّته في زمن يعد قياسيّاً وعجيباً في عالم التأليف !!

وكما أن سيداً أنهى المرحلة السابقة ببيان فضل الإسلام على الشيوعية المتمثلة في القوة الشرقية ، وتعرية النظام الشيوعي وبيان تهالكه وعدم واقعيته ، فقد استهلّ **الطور الثالث** : "الطور الإسلامي العملي الحركي" بإشهار سيفه في وجه الرأسمالية الغربية بأسلوب عجيب ، فألّف كتابه القيّم :

1- "**معركة الإسلام والرأسمالية**" : (ط 1951م) بعد رجوعه من أمريكا ، وقد قال الشيخ أبو الحسن الندوي عن هذا الكتاب وعن مؤلفه "لقد أعجبتني قوة الكاتب وصراحته في هذا الكتاب وإيمانه ، ومن فتوح الإسلام الجديدة أنه يسخّر لرسالته مثل هذا الكاتب الكبير والأديب المثقّف"[1].. والكتاب يقع في (122) صفحة من القطع الصغيرة .. ثم جاءت الكتب تِباعاً :
2- "**السلام العالمي والإسلام**" : (ط 1951م) ، وهو من أجمل ما تقرأ في بابه ، وقد وكان في آخر هذا الكتاب في الطبعة الأولى فصل بعنوان "الآن" بيّن فيه زيف الإدعاءات الأمريكية ، مما جعل الحكومة الأمريكية تتدخل لدى مصر لحذف الفصل في طبعات الكتاب التالية ، وتمّ ذلك .. وحق على كل من يريد معرفة حقيقة السلام من منظور إيماني أن يقرأ هذا الكتاب العجيب .. الكتاب يقع في (179) صفحة من القطع فوق الصغيرة بقليل ..

[1] – من كتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي" لأبي الحسن الندوي ..

3-"**في ظلال القرآن**" : طبع الجزء الأول سنة 1952م ، وطبع الجزء الأول من الطبعة المنقّحة سنة 1960م ، واستطاع سيد أن ينقّح الكتاب إلى الجزء الثالث عشر عند نهاية سورة إبراهيم ، ثم أُعدم بعدها رحمه الله[1]. ولعله من المناسب التطرق لكتاب "الظلال" بشيء من التفصيل في آخر هذا البحث .. الكتاب بطبعته الشرعية جاء في ستة أجزاء من القطع الكبيرة التي حوت على أكثر من (4000) صفحة ..

4-"**دراسات إسلامية**" : (35) مقالة إسلامية في نقد مظاهر الفساد والظلم والإنحراف في المجتمع (ط 1953م) ، وقدّم له محب الدين الخطيب ، ولكن حُذفت مقدمته في الطبعات اللاحقة[2] . الكتاب يقع في (250) صفحة من القطع فوق الصغيرة ..

5-"**هذا الدين**" : أصدره وهو في السجن (ط 1960م). كتبه لإخوانه السجناء ليثبت به فؤادهم ، وبيّن فيه عظمة ديننا وخصائصه التي تفرّد بها ،. والكتاب يقع في (100) صفحة من القطع الصغيرة ..

6-"**المستقبل لهذا الدين**" : (ط 1960م)، تُرجم هذا الكتاب والذي قبله إلى كثير من لغات العالم. وقد كشف في هذا الكتاب آفات التاريخ النصراني النّكِد ثم أظهر بكل براعة عظمة الإسلام .. والكتاب يقع في (96) صفحة من القطع الصغيرة ..

7-"**خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**" : وهو كتاب في العقيدة من أجمل ما يكون ، وهو خلاصة عقيدة سيّد رحمه الله الإسلامية في مواضيع كثر الجدال حولها ، وكأن سيّد رحمه الله علِم أنه سيكون من يطعن في عقيدته فألّف هذا الكتاب ليبيّن بكلماته حقيقة معتقده ، وإن كان سيّداً لم يرد هذا ، وإنما أراد تعليم الأجيال حقيقة العقيدة

---

[1] – انظر كتب الشيخ صلاح عبد الفتاح الخالدي: "مدخل إلى ظلال القرآن" و"المنهج الحركي في ظلال القرآن" و"في ظلال القرآن في الميزان" ، وأصل هذه الكتب رسالته في الدكتوراة "في ظلال القرآن دراسة وتقويم" ..

[2] – أطلق الشيخ محب الدين على سيد في مقدمته لهذا الكتاب لقب "لسان الدين" وأطلق على أدبه لقب "أدب القوة" وبيّن كيف أن قوة كلمات سيد كانت تُزعج قوى الظلم والطغيان في البلاد . (نقلاً عن كتاب سيد قطب من الميلا إلى الإستشهاد) وقد نقل مقدمة الشيخ محب الدين الكاتب محمد علي قطب في كتابه "سيد قطب ، أو ثورة الفكر الإسلامي" ..

وأهميتهـا ، (ط 1962م) .. يقـع الكتاب فيـ(207) صـفحة مـن القطـع فوق الصغيرة بقليل ..

8-"**الإســلام ومشكلات الحضارة**" : (ط 1962م) ، دخــل هذا الكتاب مــن باب التعريف بكتاب "الإنسان ذلك المجهول" لألكسس كارل ، ثم أتى بما لم يخطر على بال "ألكسس كارل" ولا غيره من الكفار ، فمن انبهر بكتاب ألكسيس فليقرأ هذا الكتاب ليعرف الفرق بين النظرة الفلسفية الغربية المخلصة ، وبين النظرة الإ سلامية المعجزة في العمق والوعي .. الكتاب يقع في (199) صفحة من القطع فوق الصغيرة ..

9-"**معالم في الطريق**" : وهو آخر كتاب صدر في حياة سيد (ط 1964م). وهو من أهم كتب سيد مع كتابه الظلال ، وقد امتَحنَ الطغاةُ الناسَ بسبب هذا الكتاب ، واتخذوه ذريعة لمحاكمة سيد والحكم عليه بالإعدام ، وقد كان بعض تلاميذ سيّد يرجونه ألّا يطبع الكتاب !! فكان يقول لهم "لا بد أن يتم البلاغ" .. فهو الكتاب الذي أعدم صاحبه .. وقد مُنع من التداول والطباعة في وقتنا هذا ، ولكنه موجود في الشبكة العالمية ، ولله الحمد والمنّة .. وهذا الكتاب يمكن أن يقال بأنه خلاصة كتب سيّد الإ سلامية ولبّها ، ولذلك أحدث دوياً هائلاً في الأوساط العلمية والشعبية ، وتخطفتـه الأيدي ، وحفظتـه القلوب ، ووعتـه العقول النيّرة .. يقـع الكتاب فيـ(202) صفحة من القطع الصغيرة ..

10-"**مقومات التصور الإسلامي**" : طبع بعد عشرين سنة من وفاته (ط 1986م). وقد كتبه سيد في آخر أيام حياته كما قال أخوه محمد في مقدمة الكتاب ، وقال بأن سيداً كتب آخر الكتاب على أوراق الإدعاء التي أعطيت له قبل المحاكمة !! وهناك فصلان مفقودان من الكتاب ، وهما بعنوان "حقيقة الحياة" و"حقيقة الإنسان"[1] ..

[1] – قال الشيخ محمد قطب في مقدمته لهذا الكتاب: قال لي كثير من الأصدقاء ونحن في فترة الإنتظار [انتظار بسبب البحث عن الجزئين] لماذا لا تكتب أنت الفصلين الناقصين على نسق الفصول الأربعة الموجودة ، وتُخرج الكتاب كاملاً للناس ، وأنت أقرب

والكتاب يتحدّث عن حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة الكون والحياة والإنسان .. يقع الكتاب في (382) صفحة من القطع المتوسطة ..[1]

هذه هي جميع كُتب سيد المطبوعة ، أما ما جُمع ونُسب إليه بعد ذلك فهي : إما مقالات لسيد في بعض المجلات جمعتها دور نشر وأودعتها كتباً ونشرتها بعناوين من عندها ، أو مقتطفات من كتبه – وخاصة الظلال – نشرتها بعض دور نشر بأسماء أخرى ، أو مما نُسب لسيد وليس له حقيقة ، وهذا قليل جداً نظراً لقوة وبلاغة وجمال كتابات سيّد رحمه الله ..

لقد ذكر سيّد بعض الكتب التي هو بصدد تأليفها ، ووعد بإخراج دراسات (في بعض كتبه ومقالاته) وقال بأن بعضها تحت الطبع ، ولكن لم يُطبع من كتبه إلا ما أثبتنا هنا ، وقد قامت الحكومة المصرية (غير مشكورة) بإتلاف أصول هذه الدراسات ، التي منها على سبيل المثال : المجموعة الثانية من "معالم في الطريق" و"في ظلال السيرة" و"تصويبات في الفكر الإسلامي" و"أمريكا التي رأيت"[2] ، وكتب أخرى كثيرة ، فنسأل الله أن يأجرنا في مصيبتها

الناس إلى مؤلفه ، وأولى الناس أن تقوم بهذا العمل من بعده ؟! وكنت أقول دائما ، كما أقول اللحظة : "رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه" ، وإن معرفتي بقدر نفسي ألا أتعرض لهذا العمل الذي لا أحسنه . فلست أحسن إلا ما أكتبه لنفسي ، وعلى المستوى الذي أكتبه به ، ولست أبلغ مستوى الشقيق ، وخاصة في هذا الكتاب بالذات ، الذي أودعه عصارة تجربته الإيمانية ، كما بلغ فيه قمته التعبيرية ، التي تُعبر عن قضايا غاية في العمق ، في سيولة متدفقة كأنما هي "نشيد" ينشد ، لا "فكرة" تُصاغ !

[1] – قال الشيخ محمد قطب حفظه الله في رسالة لأحد طلبة العلم : سألتني عن كتاب " العدالة الاجتماعية " فأخبرك أن هذا أول كتاب ألفه بعد أن كانت اهتماماته في السابق متجهة إلى الأدب والنقد الأدبي وهذا الكتاب لا يمثل فكره بعد أن نضج تفكيره وصار بحول الله أرسخ قدماً في الإسلام . وهو لم يوصِ بقراءته إنما الكتب التي أوصى بقراءتها قبيل وفاته هي الظلال (وبصفة خاصة الأجزاء الإثنا عشرة الأولى المعادة المنقحة وهي آخر ما كتب من الظلال على وجه التقريب وحرص على أن يودعها فكره كله) معالم في الطريق (ومعظمه مأخوذ من الظلال مع إضافة فصول جديدة) و"هذا الدين" و"المستقبل" "لهذا الدين" ، "خصائص التصور الإسلامي" ، ومقومات التصور الإسلامي (وهو الكتاب الذي نشر بعد وفاته) "والإسلام ومشكلات الحضارة" ، أما الكتب التي أوصى بعدم قراءتها فهي كل ما كتبه قبل الظلال ، ومن بينها " العدالة الاجتماعية ".

[2] – الموجود من هذا الكتاب ليس هو الأصل وإنما هو من جمع الشيخ صلاح الخالدي. الذي جمعها من بعض مقالات ورسائل سيد رحمه الله.

ويخلفنا خيراً منها. و من حق سيّد على العلماء والأدباء والمثقفين أن تُجمع جميع مقالاته التي كتبها في حياته – في غير كتبه – وتودع في مجلدات على غرار ما فعل بعضهم بمقالات أحمد شاكر ومحمود شاكر رحمهما الله وغيرهما ، وذلك حتى لا يضيع هذا التراث القيّم الذي هو حق للأمة لا ينبغي التفريط فيه ..

الناظر في حياة سيد رحمه الله يرى فيه : الأديب الألمعي ، والناقد الأدبي ، والشاعر الرقيق ، والمفكّر الحر !! كان هذا في بداية حياته[1] ، ثم دخل سيّد عالم القرآن من باب تخصصه ، وأراد أن يُظهر إعجاز القرآن الأدبي وتفوقه على كل عمل بشري ، وذلك أنه في قرارة نفسه مُسلِّم لهذا الكتاب المُعجِز الفصيح المُبين : شأنه في ذلك شأن أبناء الأرياف المصريين المتدينين فطرة ، فبعد أن درس أدب الأدباء وتعرّف على شعر الشعراء وجد أن هذا كله لا يساوي قطرة في بحر آي الله ، وكأنه بتسلّحه بكتاب ربّه أراد أن يقهر جميع خصومه ، فقهره القرآن وأمسك بتلابيب قلبه وقال له "أما آن لك أن تسلِّم يا ابن قطب" !!

ليس مثل سيّد يجهل القرآن وإعجازه ، وليس مثل سيّد تغيب عنه الحِكَم البليغة العظيمة في أحكام هذا الكتاب العظيم ، وبينما هو ينبش في آي القرآن لسيتخرج درره البيانية ويستلهم بلاغاته وتصويراته الفنّيّة : أضاء القرآن قلبه وملك عليه جوارحه ، فكانت رحلته مع القرآن من أعجب الرحلات وأمتعها وأنفعها لنفسه وللمسلمين من بعده ..

[1] – هذا عدا تفاعله الكبير مع قضايا أمته والقضايا الدولية ، وقد كتب الكثير عن قضايا الأمة في مقالاته المنثورة في المجلات ، ومن أمثلة ذلك قصيدة نشرت في عام 1931هـ بعنوان "إلى البلاد الشقيقة" مخاطباً أهل فلسطين :

تبغون الاستقلال؟ تلك طريقه ... ولقد أخذتم بالطريق فيمّموا
وهو الجهاد حميّة جشّامة ... ما إن تخاف من الرّدى أو تحجم
إن الخلود لمن يطيق ميسّر ... فليمض طلّاب الخلود ويُقدموا
وطن يُقسَّم للدّخيل هدية ... فلا يُحجم بعد ذلك مُحجم؟

زاد الأديب تعمّقاً ، وزاد الناقد نظراً ، وزاد الشاعر رقةً وعذوبةً ورهفة ، وأدرك سيد أن الحياة ليست محصورة في **الأمالي والدواوين والمعاجم والمقامات** ، وأن وراء هذه الأكمة حياة حقيقية : الواقع فيها أغرب من الخيال ، والصحيح فيها سقيم ، والحق فيها مطموس ، والباطل فيها مستأسد !!

لقد كان سيّد رحمه الله يُطلق على مرحلة ما قبل نضوجه الفكري "مرحلة الجاهلية" ، ويقصد بها بُعده عن الوحي القرآني وانشغاله بسفاهات وتفاها الشرق والغرب الكفري ، وهذا التعبير كان منه لوصف حاله وتيهه بين ركام الأفكار المستوردة ، ثم أعلن عن إسلامه الفكري – بعد أن بلغ مبلغ الرجال – وبعده بقليل "إسلامه العملي" تاركاً ورائه الجاهلية ، موقنا بقول رسول رب البرية صلى الله عليه وسلم "الإسلام يجب ما قبله"[1] ، ولكنه لم يتوقف عند هذا الحديث ، وكأنه أراد أن يستدرك ما فاته من الخير فأعلن الحرب على كل مسخ قاده– وملايين المسلمين معه – إلى ذلك التيه بسلاح القرآن الذي في حده حتف كل باطل وفي نصله شفاء كل داء : سواء كان الباطل في الأفراد أو المجتمعات أو الحكومات أو التكتلات ، وسواء كان فكراً أو عملا ..

لقد خاض سيد في شبابه معارك أدبية كثيرة ضد خصوم كبار في مجال الأدب لم يُهزم فيها ، لأن طبيعة سيد لا تقبل الهزيمة ، وهذه العزيمة وهذا الإصرار جعله رمزاً استثنائياً في حقبة صعبة جداً من تاريخ البشرية عامة ، والتاريخ الإسلامي خاصة ..

لما بدأ سيّد رحمه الله يكتب عن الإسلام ويفنّد مزاعم خصومه ، كان في نفس الوقت يهاجم ويرمي ما يخالفه بسهام النقد الفكري وبروح أدبية عالية نالت إعجاب الجميع ، وكان الناس ينتظرون مقالاته التي تنزل تباعاً في مجلات عدّة لتنزع فيهم روح الاستعلاء القرآني على

[1] – صححه الألباني في إرواء الغليل ..

قاعدة {وَأَنْتُـمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ، وكان الناس يعجبون من ثقة سيّد الشديدة بتراث الأمة الذي كاد أن يضيع تحت آكام الحزن وركام الإنهزامية والهوان المخيّم على المسلمين في تلك الحقبة التي سادت فيها النظريات الشرقية والغربية ، فعمل سيّد على بعث الحقيقة الإسلامية الناصعة في قلوب المسلمين بقوّة الحجة والبيان ليَسمع العالم كلّه دويّ قول الواحد القهّار {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (التوبة : 33) ، فأخذ سيّد يصرخ في الأرض ليبلغ صوته شغاف القلوب مصرّاً على أن المستقبل لهذا الدين وأنه ظاهر رغم أنف الكافرين ..

هذه الثقة الكبيرة التي كانت في قلب سيّد – رحمه الله – نقلها إلى قلوب المسلمين في فترة قصيرة من الزمن ، وكانت كلماته الصادقة التي ترجمها بمواقفه الثابتة لها أثر السحر في عقول الناس ، فنال إعجابهم واستحق احترامهم في فترة وجيزة ، وأصبح رمزاً من رموز الأمة وقائداً من قادتها الأفذاذ ..

سيّد والثورة :

كانت حركة الثوار في أصلها منبثقة من حركة الإخوان المسلمين ، وكان اسم حركة "الضباط الأحرار" قبل هذه التسمية : "الإخوان الضباط"[1] نسبة إلى الإخوان المسلمين ، وكان عبد الناصر عنصراً في "أسرة" من أُسَر "الإخوان الضباط" ولكنّه غيّر الإسم إلى "الضباط الأحرار" واستقل عن تنظيم الإخوان سنة 1950م ، لكن لم ينقطع عنهم كليّاً حتى قيام الثورة !! وفي وقت الثورة – وقبلها – كان نجم سيد ساطعاً كونه المنظّر الألمع وصاحب المصداقية الحقة والأولى في هذه الحقبة عند الجميع ، ولم يكن قد انضم للإخوان بعد ، فكان لا بد لقادة "الثورة" (بقيادة عبد الناصر) من التزلّف له والتظاهر بالعمل تحت جناحه حتى تتم لهم السيطرة ، فكانوا

[1] – (تأسست سنة 1946م)

يجلّو نه ويلْتفّون حوله ويستشيرونه في كثير من الأمور ، حتى أقنعوه بالعمل معهم كمستشار للشؤون الداخلية بعد قيام الثورة ، وكان سيّد رحمه الله يعلم حقيقة كونهم عملاء لأمريكا قبل قيام الثورة (بل في بداية تكوينهم) ، ولكنه عمل معهم ستة أشهر على مضض في محاولة مستميتة للإصلاح الداخلي ، ثم تركهم لإختلافه الشديد معهم ..

أقام الضباط حفلاً كبيرا بعد "نجاح الثورة" مباشرة تكريماً لسيّد رحمه الله ، فالقائمين على الثورة أدركوا خطورة الرجل وشعبيته ، فتزلفوا له في البداية ، ولم يكن سيداً "بالخب ولا الخبّ يخدعه" ، ومما قاله في هذا الحفل ارتجالاً "**إن الثورة قد بدأت حقاً ، وليس لنا أن نثني عليها ، لأنها لم تعمل بعد شيئاً يُذكر ، فخروج المِلك ليس غاية الثورة ، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام ...**" ، وقال أيضا "**لقد كنت في عهد الملكية مهيّئا نفسي للسجن في كل لحظة ، وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضا ، فأنا في هذا العهد ، مهيّئ نفسي للسجن ، ولغير السجن ، أكثر من ذي قبل**" . هنا وقف جمال عبد الناصر وقال مخاطباً سيداً والحشد بصوت جهوري "**أخي الكبير سيّد ، والله لن يصلوا إليكَ إلّا على أجسادنا ، جثثاً هامدة ، ونُعاهدك باسم الله ، بل نجدّد عهدنا لك أن نكون فدائك حتى الموت**" !! وصفّق الناس بعدها تصفيقا حادّاً وهتفوا بحياة سيّد!!

ولكن سيداً الأديب المفكّر العبقري يعرف مداخل الكلمات ومخارجها وحقيقتها ، فلم يأبه بما قال عبد الناصر ، فالعبرة عنده بالحال وليس بالمقال ، وقد صدَق حدس سيّد رحمه الله فقُبض عليه وسجَنه عبد الناصر بعد ستة أشهر فقط من معاهدته لسيّد بفداءه بنفسه[1] !!

ربما لا توجد شخصية في عصرنا أثارت إعجاب الناس وفضولهم مثل شخصية سيد قطب رحمه الله ، فلا أعرف شخصاً في زماننا أُلِّفت فيه المؤلفات وبُحثت في شخصيته وآثاره البحوث

[1] – [انظر كتاب "سيد قطب ، من الميلاد إلى الإستشهاد" لصلاح عبد الفتاح الخالدي ، فهو من = أفضل الكتب التي كتبت عن حياة سيد رحمه الله ، واستفدت منه كثيرا في تحضير هذه المادة ..

مثل سيد قطب ، وأكثر هذه الدراسات والأبحاث تقف مبهورة أمام فكره وقوة عزيمته وعبقريته ، ولا أعرف رجلاً في زماننا قامت على دراساته دراسات مثل سيّد قطب ، فهناك مئات الدراسات التي تناولت جوانب من فكره وتنظيره وأدبه وبيانه وتأصيله بلغات كثيرة و في بلاد كثيرة ، هذا في وقت منع فيه الحكام مثل هذه الدراسات ، فكيف لو كانت غير ممنوعة !!

الطعن في سيّد قطب :

أما **المنتقدون** لسيّد فهم قلة شاذّة نستطيع حصر أشهرهم في هذه الأصناف :

الصنف الأوّل : وهم مَن حكم على مقتطفات من كلام سيد دون الرجوع إلى كتبه وقراءتها قراءة نقدية مراعية للأصول العلمية في النقد ، فحكموا للمُجْمل على الُمحكم ، وللمنسوخ على الناسخ !! ومِن هؤلاء : علماء كبار من أمثال الشيخ ابن عثيمين والشيخ الألباني والشيخ ابن باز رحمهم الله .. وقد أقرّ الشيخ ابن عثيمين في أكثر من مقام بأنه حكم على بعض كلام سيّد دون قراءة مؤلفاته ، وإنما حكم على ما نُقل له ، وهذا ، وإن كان يُبرئ الشيخ من الناحية النظرية ، إلا أنه خطأ كبير من الناحية العملية لما يترتّب عليه من استغلال بعضهم لحكم الشيخ .. والذي نعرفه أن الشيخ ابن باز والشيخ الألباني لم يطّلعا أيضا على مؤلفات سيد قطب إطّلاعاً علميّاً ، فحكمهما غير مبني على تصوّر صحيح لفكر سيّد ومنهجه الذي صار إليه في آخر حياته ..

الصنف الثاني : الحزبيون الحاقدون على كل ما يمت لصلة بجماعة الإخوان المسلمين ولو كان حقاً ، و جل هؤلاء ممن يدّعون السلفية من أتباع المدخلي وأشباههم ، وهؤلاء لا يتبعون الحق وإن ظهر لهم ، وذلك أن غشاوة الحزبية الحاقدة أعمت أبصارهم ، فكل شيء عند "الإخوان" باطل ، وكل شيء يخالف ما هم عليه من جهل فهو بِلا طائل ، والحق محصور فيهم لأنهم "حماة

التوحيد" والذابين عنه بزعمهم !! هؤلاء الذين : قرأوا "الواسطية" فظنوا أنهم واسطة بين الحق وخلقه يُدخلون من شاؤوا الإسلام ويُخرجون منه من شاؤوا !! تصفّحوا "التدمرية" ولكن دمّروا العلاقات الإسلامية !! قرأوا "كتاب التوحيد" قراءة الجاهل البليد !! تصفّحوا "الأصول الثلاثة" و"القواعد الأربعة" و"كشف الشبهات" ولم تتنهم كلها عن الطامّات !! المُثلِّث وابن القِردة منهم سالم ، أما المسلم فليس بينهم له راحِم !! ربما غيّر هؤلاء رأيهم إذا علموا أن "الملك فيصل" أرسل برقية إلى عبد الناصر يَشفَع لسيّد فيها قبل إعدامه بيوم ، وأن فيصل بكى بعد سماع خبر إعدام سيد وترحّم عليه !! فهم هنا بين أمرين : إما أن يقولوا بجهل فيصل ، أو يقولوا باختلال عقيدته كما يرمون به من يُثني على سيّد !!

الصنف الثالث : من تزلّف للسلاطين وانتقد سيّداً بدعم من الحكام لأسباب سياسية ، وخاصة حكّام مصر وسورية والرياض ، فهؤلاء لا يهمّهم حق ولا باطل بقدر ما يهمّهم ما يكسبونه من أموال أو مناصب ، وقد حملت الحكومات المصرية حملة شعواء على سيّد وفِكره لأنه يصادم منهج العمالة والخيانة للأمة الذي تبنّته ، وعملت هذه الحكومات على تشويه صورة سيّد ورميه بكل نقيصة ، سواء في الدين أو في غيره ، وجمعت عليه بعض علماء الأزهر "المتسوّلين" ، واستصدرت فتاوى من بعضهم تُبدّع سيداً بل وتُكفّره[1] ، وذلك لأن سيداً كرّس حياته لإعادة التحاكم لشرع الله في بلاد الإسلام ، وهذا يناقض المبدأ الذي قامت عليه الحكومات المصرية الحديثة خاصة ، والحكومات العربية عامة ، فكل من باع الإسلام من أجل السلطان فهو عدو لسيّد ولفِكر سيّد ولمنهجه وتراثه وكل ما يمت له بصلة ، ولعل الصنف الثاني يدخل في هذا الصنف ..

---

[1] – منهم على سبيل المثال : حسن مأمون شيخ الأزهر في وقته ، وعبد اللطيف السبكي ومحمد المدني وغيرهم ! وانظر كيف أن الله تعالى أبقى ذكر سيّد رحمه الله وأخفى ذكر هؤلاء حتى يكاد لا يعرفهم أحد مع كون أحدهم شيخ للأزهر {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ} (الرعد : 17) ، وسيبقى ذكر سيد رحمه الله في المسلمين – إن شاء الله – وسيندرس ذكر السفهاء وسيلقى بكلامهم في مزبلة التاريخ ..

الصنف الرابع : وهم من لم يفهم مقصود سيّد في بعض ما كتب ، وذلك أن سيداً يكتب بروح الأديب وأسلوبه الذي قد لا يفهمه من لم يعتد قراءة مثل هذا النوع الراقي من الأدب ، فقد يستخدم سيّد بعض الأساليب الجمالية والألفاظ البلاغية التي لم يعتادها بعضهم في علم معيّن فيظن أن سيداً ابتدع هذا أو خالف ما يعرفه ، وليس الأمر كذلك ، فسيّد يُطلق عنان قلمه في مواضع وينطلق خياله وإبداعه في مواضع اعتاد الناس فيها على مصطلحات علمية متعارف عليها وألفاظ دقيقة الدلالة ، وقد أُتي كثير من الناس من هذا الباب ، ونَقول لهؤلاء : يجب أن يتعرّف القارئ على أسلوب سيّد قبل أن يحكم على كتبه ، فليست كل كتبه في مستوى واحد ، وليست كل ألفاظه لها دلالة واحدة ، وبعض كلماته لها دلالات مغايرة لما اعتاده الناس ، وهذا ليس غريباً على الأدباء ، وليس تدني مستوى فهم القارئ من قصور الكاتب ..

الصنف الخامس : من يخالف سيداً في بعض الأصول التي ذهب إليها في منهجه وتوجهاته واجتهاداته ، وقد حاول هؤلاء الرد على مؤلفات سيّد رحمه الله بإسلوب النقد العلمي المتجرّد (كما زعموا) ، والحقيقة أن ما كتبه سيّد في مجمله هو الحق ، وأن ما يحاول هؤلاء بيانه لا يتعدى أن يكون من تصوراتهم الخاطئة للمفاهيم الشرعية ، وأكثر هؤلاء هم من داخل حركة "الإخوان المسلمين" الذين لهم بعض المفاهيم الغريبة عن العقيدة الإسلامية والسياسة الشرعية ، وأهم ما ناقشوا فيه سيداً رحمه الله : مفهوم "توحيد الحاكمية" وحقيقة "الجهاد" ومفهوم عقيدة "الولاء والبراء" ، فهناك خلل كبير عند بعض علماء الإخوان في هذه المسائل التي بيّنها سيّد بكل وضوح ودقة مستنداً إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة سلف هذه الأمة ..

الصنف السادس : من لم يعرف أو يُدرك مراحل التطور الفكري في حياة سيّد قطب رحمه الله ، فخلط الحابل بالنابل وأتى بكتب له قديمة ، وطبعات لكتب غيّر فيها سيّد وحذف ، فاقتبس منها وظن أنها ما مات عليه وسيّد رحمه الله ، وبحثنا هذا يبيّن حقيقة هذا الأمر ..

هناك أصناف أخرى سيأتي ذكرها عند الكلام على كتاب "في ظلال القرآن" إن شاء الله تعالى ..

لا نزعم أن سيداً ليست عنده أخطاء : سواء في الفكر أو في العقيدة ، وعذره في ذلك ما قال الأوّل :

ولا ترى عُذْراً أولى بذي زَلَلٍ ... من أن يقولَ مُقرّاً : إنني بشرُ

أما الأخطاء الفكرية (النادرة) فلا بد منها لأنها اجتهادات بشرية ، وإن كان خطئه يغرق في بحر صوابه ، إلا أن الخطأ لا يُتابَع – وإن كان صغيراً – من أي مصدر كان ..

أما الأخطاء العقدية القليلة (في الأسماء والصفات وغيرها) : فنحن لا نُقر سيداً عليها ، ولكننا نتفهّم مصدر هذه الأخطاء ، فسيّد رحمه الله نشأ في مصر التي فيها الأزهر رمز للإسلام في ذلك الوقت : ليس في مصر فقط ، بل في العالم أجمع ، ولا يخفى أن الأزهر اتخذ المذهب الأشعري منهجاً ، فهذا هو المشهور في عهد سيّد ، وهو الذي يمثّل المذهب الصحيح في نظر الناس ، ليس في القرن الماضي فقط ، بل في القرون الكثيرة الماضية ، فمخالفة مذهب الأزهر كان بدعة شنيعة !!

لم تكن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية أو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أو أئمة الدعوة النجدية مشهورة في ذلك الوقت بمثل شهرتها اليوم ، وخاصة في مصر التي لم يخرج منها سيّد إلّا في رحلتيه لأمريكا والشام ، ولم تكن قضيّة الأسماء والصفات مثارة في ذلك الوقت : لإنشغال الأمة بالعدو الخارجي والداخلي وغيرها من الأمور الظاهرة ..

لقد جعل الله الجهاد الأفغاني الأول سبباً في انتشار الدعوة السلفية النجدية ، فقد كانت هذه الدعوة التجديدية محصورة في نجد والحجاز ، وكانت مُحاربة من قِبل علماء الأقطار الإسلامية الأخرى !!

وبفضل من الله – ثم بسبب المجاهدين الأنصار الذين كان جلّهم من جزيرة العرب ، وبما كان لأهل الجزيرة من اليد الطولى في نصرة الجهاد الأوّل في أفغانستان – انتشرت العقيدة الصحيحة بين المسلمين ، وهذه سنّة الله في نشر عقيدته ، أما من يريد نشر عقيدة بكتب ومقالات وبدون قتال أو تضحية فهؤلاء لم يقرأوا التأريخ ولم يُدركوا حقيقة الدعوات ..

لم يسجّل التأريخ انتشاراً لعقيدة – حقة أو باطلة – بدون دماء وتضحيات ، فهذه النصرانية التي من دينها محبة عدوّها وإدارة الخد له لم تنتشر إلّا بسيف الرومان ثم بسيوف الفرنجة ، وكذلك الدعوة الإسلامية لم تنتشر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم إلا بقوة السيف والرعب الذي نُصر نبينا (صلى الله عليه وسلم) به فأزال من وجه الدعوة العقبات ، وشيوعية الروس انتشرت بالقوة ، ولما دمَّر الله قوتها خنست عقيدتهم وتبرأ المهلّلون لها منها !! واليوم وقد برزت القوة الأمريكية نجد جميع المنهزمون ينادون بالديمقراطية ويهتفون لها ، وعند اندحار قوة أمريكا – بإذن الله – ستجد الناس قد تبرأوا من عقيدتها الديمقراطية وتوجّهوا لعقيدة الأكثر قوة في الأرض ، وهذا يعرفه كل من قرأ تاريخ الدعوات على مر العصور ..

إن سيداً – رحمه الله – كتب بلغة زمانه ومنهج أعظم صرح إسلامي عِلمي على الأرض في وقته ، فكيف يؤاخذ على دقائق علمية لا يعرفها إلا المتخصصون المجتهدون المتبحّرون في هذا العلم ممن لم يتواجدوا أو يظهروا في بلاده ، فهو في هذه المسائل مقلّد لغيره من كبار علماء الإسلام في نظره وفي نظر الأزهر ، بل في نظر أكثر المسلمين ، فالحكم على سيّد في مثل هذا يُعدّ حكماً على ذنب اقترفه غيره ، ولو عرف سيد الصواب في هذه المسائل لما حاد عنه ، وذلك أنه تابع للحق منصاع له ، وهذا واضح في حذفه لبعض فقرات كتابه "العدالة الإسلامية" بعد نقد

الشيخ محمود شاكر لها ، ولكن مع ذلك أشار بعضهم بأن سيداً – رحمه الله – عكف على دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم في آخر حياته ، ولعل هذا هو سر التعديلات والمراجعات التي رأيناها في آخر أمره – رحمه الله – وسرّ تركيزه الشديد على العقيدة وأنها أساس الفكر الإسلامي وأعظم رصيد تربوي روحي وعملي ، وتركيزه الشديد على مفهوم "لا إله إلا الله" بمنظور شمولي يتعدى اللفظ إلى معانٍ غزيرة جليلة ..

وسبب آخر ، هو : كون سيّد أديباً يكتب بلغة الأدباء ، وربما أتى بألفاظ أدبيّة بلاغية فجعلها بدل المصطلحات الشرعية التي اصطلح عليها العلماء ، وأكثر هذا كان في بداية كتاباته الإسلامية ، فهو عندما يقول بأن الله "مهندس هذا الكون" لا يقصد بأن الله تعالى عنده فرجار وقلم وخرائط والعياذ بالله !! هذا لا يقوله عاقل ، ولكن الكلمة – وإن كنا لا نوافقه عليها – لها معنى عند سيّد أراد أن يعبر بها بأسلوبه الأدبي ، ونحن نُحسن الظن بسيّد ونقول بأنه لو علم أن في هذه الكلمة أدنى محذور شرعي لضرب بها عرض الحائط ، ونحن لا نشك بأنه جهل هذا ، وهذا مأخذ عليه لعل سببه ما ذكرنا آنفا من عدم التركيز على هذه الأمور في زمانه ومكانه وبداية كتاباته الإسلامية ..

هذا هو سبب خطأ سيد رحمه الله في بعض مسائل الأسماء والصفات وغيرها من المسائل العقدية الدقيقة ، فهي مسائل لم تكن محل جدل في زمانه وظروفه ومكانه ، وكان العلم بحقيقتها عزيزاً نادراً غير ذي بال عند أكثر الناس[1] ، أما ما افتراه بعضهم على سيد في مسائل الحلول والإتحاد وغيرها فهذه لا تعدوا أن تكون كذباً أو جهلاً بتراث سيّد ، فـــ"المداخِلة"[2] وأمثالهم من الشواذ كذبوا في هذا الباب وقوّلوا سيداً ما لم يَقُل ، وبتروا كلماته وحرّفوا معانيها لحاجة في نفوسهم ، ونقلوا من كتب سيّد المتقدّمة جُملاً غير صريحة وتركوا ما في كتبه المتأخرة –

[1] – بل أكثر الناس اليوم لا يعرفون دقائق هذا العلم رغم انتشار الكتب والدروس العلمية في الفضائيات وفي الشبكة العالمية والجرائد والمجلات ، وهذا يصح في العامة وفي كثير من العلماء.

[2] – نسبة إلى ربيع بن هادي بن عمير المدخلي المولود سنة (1352 هـ – 1933م) ، رئيس قسم السنة وعلومها (سابقاً) في الجامعة الإسلامية بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كخصائص التصور الإسلام – أقوال صريحة وتقريرات لا غبش فيها تفنّد عقيدة وحدة الوجود الخبيثة !!

وبعض المخلصين (كالعلامة الألباني رحمه الله والشيخ ابن باز وغيرهم) نُقل له كلام سيّد المُجمل أو المُبهم فحكم عليه دون الرجوع لتقريرات سيّد في مواضع أخرى ، وردّ على هذا كله الشيخ المجاهد الأصولي[1] العملاق عبد الله عزام رحمه الله في رسالة له بعنوان "**عملاق الفكر الإسلامي**"[2] ، ومما قاله عزام رحمه الله في هذه الرسالة القيّمة بعد أن فنّد هذه التهمة الشنيعة "كان الأولى والأورع في دين الله قبل أن نتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود أن نقرأ له أولا ثم بعد ذلك : نقدّم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح ، ونقدّم المفسَّر من قوله على القول المُبهم له ، ونقدِّم بالتَّرجيح المنطوق على المفهوم ، ونقدم عبارة النّص على إشارة النص ، هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام ، فإذا تعارضت النصوص : لا بد من الجمع أولا ، ثم النسخ ، ثم الترجيح ، فهل حاولنا أن نقرأ تفسير جزء واحد من ثلاثين جزء من ظلال القرآن حتى نحكم على الرجل ..." (انتهى)[3] ..

لقد كتب سيدٌ رحمه الله – في آخر حياته – كتاباً في العقيدة من أروع ما كُتب ، وهو كتابه "**خصائص التصور الإسلامي**" ، فمن أراد معرفة عقيدة سيّد فليراجع هذا الكتاب وليقرأه بعقل واعٍ وتجرّد ، وكذلك ما راجعه سيّد من كتاب الظلال في آخر حياته فيه تقريرات كثيرة تخالف بعض ما كتب في بدايات كتاباته الإسلامية ، فما كتبه سيد في نهاية حياته ناسخ لما

---

[1] – كثير من الناس يجهلون حقيقة تخصص الشيخ عزام رحمه الله ، فشهادة الدكتوراة التي نالها كانت في علم الأصول ، بعنوان "دلالات الكتاب والسنة على الأحكام من حيث البيان والإجمال والظهور والخفاء" وقدمها لكلية الشريعة والقانون بالأزهر ، ونال بها شهادة الدكتوراة في أصول الفقه مع مرتبة الشرف الأولى سنة 1393هـ .. وقد طبعت دار المجتمع بجدة الرسالة في مجلد كبير سنة 1421هـ ..

[2] – كتب هذه الرسالة رداً على الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الالباني رحمه الله ..

[3] – وممن رد على شبهة قول سيد بوحدة الوجود شقيقه الشيخ محمد قطب حفظه الله ، وقد بيّن في مقدمته لكتاب سيد "مقومات التصور الإسلامي" أن الباحث المنصف يجد في الظلال "أكثر من مائة موضع عبارات صريحة حاسمة تقطع بإيمان كاتبها أن الله غير مخلوقاته وانه لا مجال للخلط بين الخالق والمخلوق في صفة واحدة من الصفات ولا فعل واحد من الأفعال ..."

خالفه في بدايتة ، و ما بيّنه أو قيّده في مكان طا غٍ على المجمل في غيره ، و كل طبعة جديدة لكتاب في حياته ناسخة للطبعات السابقة ، وهذا هو المعتمد في أسلوب النقد العلمي الصحيح ، ثم إن سيداً كتب الملايين من الكلمات وعشرات الآلاف من الأفكار ، فإذا وجدنا بضعة أخطاء هنا أو هناك ، فهذه منقبة لسيّدٍ وليست منقصة ، وكفى به نُبْلاً أن تُعدّ معايبه ..

أما إلغاء جميع كتبه وجميع تراثه بحجّة أنه أخطأ ، فليأتنا من يقول بهذا بتراث أي عالم من علماء المسلمين لم يُخطئ !! فهل نُلغي ترات أمتنا كلّه – عدى القرآن الكريم وصحيح السنة – بحجّة وجود أخطاء !! لو كان هذا مقياساً لكان سلف هؤلاء قلّة قليلة ، بل سلفهم محصور في شخص النبي صلى الله عليه وسلّم لأن كل مَن عداه في هذه الأمة غير معصوم ، ولَما كان لهؤلاء أن يفخروا بالفتوحات الإسلامية بعد القرون المفضّلة لأن أكثر قادة الفتح في ذلك الوقت وإلى وقت قريب من وقتنا كانوا على غير عقيدة السلف ، فهم إما أشعرية أو ماتريدية أو صوفية أو غير ذلك ، فلا يحق لهؤلاء أن يفتخروا بمعارك المماليك ولا الأيوبيين والزنكيين ولا الغزنويين ولا العثمانيين ولا السلاجقة وأشباههم ، فهل نُلغي الإعتزاز بفتوحات ألف سنة بحجة أن القادة وأكثر الجنود كانوا على غير عقيدة السلف في الأسماء والصفات أو كان فيهم تصوّف أو كانوا يقولون بهذا القول أو ذاك بشبهة أو تأويل أو حتى جهل ، وهل نُلغي تراث النووي وابن حجر والغزالي والجويني وابن حزم وأشباههم بحجة وجود أخطاء عقدية عندهم !!

ولعل البعض يتسائل : إذا كانت هناك أخطاء قليلة في كتب سيّد فلماذا لا تُحذف من الطبعات الجديدة وينتهي الأمر !!

هذا السؤال أجاب عنه شقيق سيّد : الشيخ محمد قطب – حفظه الله – ، حيث قال : "إن سيّد بشر يخطئ ويصيب ، فنأخذ من كلامه ما أصاب فيه ونترك ما أخطأ فيه ، وكل البشر يؤخذ من كلامهم ويُرد إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام ، أما تعديل ماهو مكتوب .. فأنا حتى الآن ضد

هذا الرأي ، طلب مني كثيرون أن أكتب تعليقات أو أن أحذف بعض الأشياء من الظلال وأبيتُ ذلك .. حرية التعليق والتصحيح متاحة للكل ، لكن لا أريد أن أغيّر النصّ ، كما كَتَبه يبقى للأجيال .. أما سيد فقد أفضى إلى ربه وهو بين يدي مولاه ، وأعتقد أنا – لا لأنه أخي – أن الأخطاء التي وقع فيها ، وقع فيها بحسن نية وليس بقصد الإساءة إلى الإسلام ، فنرجو له المغفرة وقد أفضى إلى ربه شهيدا ، أما تغيير ما كتبه فلست موافقا عليه ، أما حرية أي إنسان في أن ينتقد هذا الكلام أو أن يثبت خطأ ما أخطأ فيه ، فهذا متاح لكل الناس "[1]

رأي بعض العلماء في سيّد قطب :

وأنقل هنا لزاماً رأي بعض جهابذة علماء هذا العصر في سيّد قطب رحمه الله :

ونبدأ بفتوى للشيخ **حمود بن عقلا الشعيبي** رحمه الله في سيّد قطب رحمه الله :

رأي الشيخ العلامة حمود الشعيبي رحمه الله في سيد قطب :

"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد

فإن المفكر الأديب سيد قطب رحمه الله له أعداء كثيرون، يختلفون في كيفية النقد وأهدافه والغايات منه، ويتفقون في مصالح مشتركة، وقبل أن أكشف بطلان مثالب الجراحين والمطاعن الموجهة إلى سيد رحمه الله ، أبين أولا لماذا يستهدف سيد قطب خاصة ؟ ومن المستفيد من إسقاطه ؟

إن سيدا رحمه الله يعد في عصره علما من أعلام أصحاب منهج مقارعة الظالمين والكفر بهم ، ومن أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعوة إلى توحيد التحاكم إلى الله ، فلم يقض إلا

---

[1] – من شريط (الاتجاهات الفكرية المعاصرة) الجزء الثاني

مضاجع أعداء الله ورسوله كجمال عبدالناصر وأمثاله .. وما فرح أحد بقتله كما فرح أولئك، ولقد ضاق أولئك الأذناب بهذا البطل ذرعا، فلما ظنوا أنهم قد قتلوه إذا بدمه يحيي منهجه ويشعل كلماته حماسا، فزاد قبوله بين المسلمين وزاد انتشار كتبه، لأنه دلل بصدقه وإقدامه على قوة منهجه، فسعوا إلى إعادة الطعن فيه رغبة منهم لقتل منهجه أيضا وأنى لهم ذلك.

فاستهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافا مجردا لشخصه، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وجدت له العثرات، فعنده أخطاء لا ننكرها، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين .

وإني إذ اسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا} فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فما يضير سيدا طعن الطاعنين، بل هو رفعة له وزيادة في حسناته، ولكن الذي يثير الاستغراب هو فعل أولئك القوم الذين يدّعون اتباع الحق ومع ذلك ينقصون الميزان ولا يزنون بالقسطاس المستقيم والله يقول: {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون} ، فأولئك إذا أرادوا مدح أحد عليه من المآخذ ما يفوق سيدا بأضعاف قالوا كلمتهم المشهورة "تغمس أخطاؤه في بحر حسناته" وقالوا "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" وغير ذلك، وإذا أرادوا ذم آخر كسيد رحمه الله الذي يعد مجددا في باب (إن الحكم إلا لله) سلكوا معه طريق الخوارج وكفروه بالمعاصي والزلات .

وسيد رحمه الله لا ندعي له العصمة من الخطأ، بل نقول إن له أخطاء ليس هذا مجال تفصيلها، ولكنها **لا تخل بأصل دعوته ومنهجه،** كما أن عند غيره من الأخطاء التي لم تقدح في منزلتهم وعلى سبيل المثال ابن حجر والنووي وابن الجوزي وابن حزم، فهؤلاء لهم أخطاء في العقيدة إلا أن أخطاءهم لم تجعل أحدا من أبناء الأمة ولا أعلامها يمتنع من الاستفادة منهم أو يهضمهم

حقهم وينكر فضائلهم[1] ، فهم أئمة إلا فيما أخطئوا فيه، وهذا الحال مع سيد رحمه الله فأخطاؤه لم تقدح في أصل منهجه ودعوته لتوحيد الحاكمية وتعبيد الناس لربهم.

والقاعدة التي يجب أن تقرر في مثل هذه الحالات هي ما يستفاد من قول الله تعالى {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما} فكل من حقق ما يجب تحقيقه من أصل الدين، ينظر بعد ذلك في سائر منهجه فإن كان خطؤه أكثر من صوابه وشره يغلب على نفعه فإنه يُهمل قوله وتُطوى كتبه ولا تُروى ، وعلى ذلك **فالقول الفصل في سيد رحمه الله** أن أخطاءه مغمورة في جانب فضائله ودفاعه عن (لا إله إلا الله)، لا سيما أنه حقق أصول المعتقد الصحيح ، وإن كان عليه بعض المآخذ وعبارات أطلقها لا نوافقه عليها رحمه الله .

وختاما لا يسعني إلا أن اذكر أنني أحسب سيدا والله حسيبه يشمله قوله عليه الصلاة والسلام (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله)[2] ، **فنحسب أن سيدا رحمه الله قد حقق ذلك الشرط** حيث قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله .. وأنقل كلمة له رحمه الله قبل إعدامه بقليل عندما أعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام "الشهادة" وتعجب لأنه لم يحزن ويكتئب وينهار ويحبط فسأله قائلا : أنت تعتقد أنك ستكون شهيدا فما معنى شهيد عندك؟ أجاب رحمه الله قائلا : الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداء لدين الله .

وله رحمه الله من المواقف والأقوال التي لا يشك عارف بالحق أنها صادرة عن قلب قد مليء بحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب التضحية لدينه، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا

---

[1] – ظهرت فرقة جديدة سمّاها بعض الناس "الحدّادية" نسبة إلى شخص يدعى محمود بن محمد الحداد تطعن في هؤلاء العلماء ، ومحمود هذا مصري من مواليد 1374هـ ، وله أتباع جهال مثله ، وقد وجدنا بعض أفراخ المدخلي ينالون من النووي وابن حجر ، وهذا من تتبعهم لخطوات الشيطان : فهم لما طعنوا في سيّد وأمثاله قال لهم الناس بأن كبار العلماء سقطوا في بعض أبواب العقيدة ، فما كان منهم إلا أن طعنوا في هؤلاء العلماء ليُثبتوا طعنهم في المعاصرين !!

[2] – الحديث مروي عن جابر بن عبد الله وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وإياه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قاله / حمود بن عقلاء الشعيبي

16/5/1421هـ

* * *

وهذه رسالة الشيخ العلامة المحقق **بكر أبو زيد** – رحمه الله – في سيّد قطب رحمه الله ، وهي رسالة وجهها لربيع المدخلي الذي طمع أن يقرض الشيخ بكر كتاباً له يطعن في سيّد رحمه الله ، فكان رد الشيخ بكر رحمه الله ، التالي :

رأي الشيخ العلّام بكر أبو زيد رحمه الله في سيد قطب :

"فضيلة الأخ الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي .. الموقر

السلام عيكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فأشير إلى رغبتكم قراءة الكتاب المرفق "أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره".. هل من ملاحظات عليه ثم هذه الملاحظات هل تقضي على هذا المشروع فيطوى ولا يروى، أم هي مما يمكن تعديلها فيترشح الكتاب بعد الطبع والنشر ويكون ذخيرة لكم في الأخرى، بصيرة لمن شاء الله من عباده في الدنيا، لهذا أبدي ما يلي..

1- نظرتُ في أول صفحة من فهرس الموضوعات فوجدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب رحمه الله، أصول الكفر والإلحاد والزندقة، القول بوحدة الوجود، القول بخلق القرآن، يجوز لغير الله أن

يشرع، غلوه في تعظيم صفات الله تعالى، لا يقبل الأحاديث المتواترة ، يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها، يكفر المجتمعات .. إلى أخر تلك العناوين التي تقشعر منها جلود المؤمنين .. وأسفت على أحوال علماء المسلمين في الأقطار الذين لم ينبهوا على هذه الموبقات .. وكيف الجمع بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق انتشار الشمس، وعامتهم يستفيدون منها، حتى أنت في بعض ما كتبت، عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع، **فوجدت الخبر يكذبه الخبر**، ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ العادي، إلى الوقيعة في سيد رحمه الله، وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم مواطن الإثم والجناح، وإن من الغبن الفاحش إهداءِ الإنسان حسناته إلى من يعتقد بغضه وعداوته.

2- نظرت فوجدت هذا الكتاب يفتقد:

أصـــول البحث العلمي، الحيـــدة العلمية، منهـــج النقد، أمانـــة النقل والعلم، عـــدم هضم الحق.

أما أدب الحوار وسمو الأسلوب ورصانة العرض فلا تمت إلى الكتاب بهاجس .. وإليك الدليل...

أولاً: رأيتُ الاعتماد في النقل من كتب سيد رحمه الله تعالى من طبعات سابقة مثل الظلال والعدالة الاجتماعية مع علمكم – كما في حاشية ص 29 وغيرها – أن لها طبعات معدلة لاحقة، والواجب حسب أصول النقد والأمانة العلمية، تسليط النقد إن كان على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب، لأن ما فيها من تعديل ينسخ ما في سابقتها وهذا غير خاف إن شاء

الله تعالى على معلوماتكم الأولية، لكن لعلها غلطة طالب حضر لكم المعلومات ولما يعرف هذا[1] ؟؟، وغير خاف لما لهذا من نظائر لدى أهل اعلم، فمثلاً كتاب الروح لابن القيم لما رأى بعضهم فيما رأى قال: لعله في أول حياته وهكذا في مواطن لغيره، وكتاب العدالة الاجتماعية هو أول ما ألفه في الإسلاميات والله المستعان.

ثانيًا: لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هذا الكتاب قولكم (سيد قطب يجوز لغير الله أن يشرع)، فهرعت إليها قبل كل شيء فرأيت الكلام بمجموعه نقلاً واحدًا لسطور عديدة من كتابه العدالة الاجتماعية ، وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي، ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة، فكيف نحولها إلى مؤاخذة مكفرة، تنسف ما بنى عليه سيد رحمه الله حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله تعالى (في الحكم والتشريع) ورفض سن القوانين الوضعية والوقوف في وجوه الفعلة لذلك، إن الله يحب العدل والإنصاف في كل شيء ولا أراك إن شاء الله تعالى إلا في أوبة إلى العدل والإنصاف. [2]

ثالثًا: ومن العناوين الاستفزازية قولكم (قول سيد قطب بوحدة الوجود). إن سيدًا رحمه الله قال كلامًا متشابهًا حلّق فيه بالأسلوب في تفسير سورتي الحديد والإخلاص وقد اعتمد عليه بنسبة القول بوحدة الوجود إليه، وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة من رده الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود، ومنه قوله: ((ومن هنا تنتفي من التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود)) وأزيدكم أن في كتابه (مقومات التصور الإسلامي) ردًا شافيًا على القائلين بوحدة الوجود، لهذا فنحن نقول غفر الله لسيد كلامه المتشابه الذي جنح فيه بأسلوب وسع فيه

---

[1] – وظهر عدم صحة كلام الشيخ بكر رحمه الله ، حيث عمد المدخلي على طبع الكتاب كما هو ..

[2] – لم يحدث هذا ، بل قام المدخلي بالرد الشنيع على كلام الشيخ بكر هنا ودافع عن كذبه وافتراءه على سيد رحمه الله.

العبارة.. والمتشابه لا يقاوم النص الصريح القاطع من كلامه، لهذا أرجو المبادرة إلى شطب هذا التكفير الضمني لسيد رحمه الله تعالى وإني مشفق عليكم. [1]

رابعًا: وهنا أقول لجنابكم الكريم بكل وضوح إنك تحت هذه العناوين (مخالفته في تفسير لا إله إلا الله للعلماء وأهل اللغة وعدم وضوح الربوبية والألوهية عند سيد) .

أقول أيها المحب الحبيب، لقد نسفت بلا تثبت جميع ما قرره سيد رحمه الله تعالى من معالم التوحيد ومقتضياته، ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته الطويلة !! فجميع ما ذكرته يلغيه كلمة واحدة، وهي أن **توحيد الله في الحكم والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد**، وسيد رحمه الله تعالى ركز على هذا كثيرًا لما رأى من هذه الجرأة الفاجرة على إلغاء تحكيم شرع الله من القضاء وغيره وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها ولا شك أن هذه جرأة عظيمة ما عهدتها الأمة الإسلامية في مشوارها الطويل قبل عام (1342هـ).

خامسًا: ومن عناوين الفهرس (قول سيد بخلق القرآن وأن كلام الله عبارة عن الإرادة).. لما رجعت إلى الصفحات المذكورة لم أجد حرفًا واحدًا يصرح فيه سيد رحمه الله تعالى بهذا اللفظ (القرآن مخلوق) كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات، إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب كقوله (ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها – أي الحروف المقطعة – مثل هذا الكتاب لأنه من صنع الله لا من صنع الناس) ..وهي عبارة لا شك في خطأها ولكن هل نحكم من خلالها أن سيدًا يقول بهذه المقولة الكفرية (خلق القرآن) اللهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك .. لقد ذكرني هذا بقول نحوه للشيخ محمد عبد الخالق عظيمة رحمه الله في مقدمة كتابه دراسات في أسلوب القرآن الكريم والذي طبعته مشكورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فهل نرمي

---

[1] – نال الشيخ بكر رحمه الله مقابل هذا الإشفاق قلة حياء وقلة أدب من قبل ربيع وتلاميذه الثلاثة أو الأربعة !!

الجميع بالقول بخلق القرآن! اللهم لا، واكتفي بهذا من الناحية الموضوعية وهي المهمة.

ومن جهات أخرى أبدي ما يلي:
1- مسودة هذا الكتاب تقع في 161 صفحة بقلم اليد، وهي خطوط مختلفة، ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد، إلا أن يكون اختلف خطكم، أو اختلط علي، أم أنه عُهد بكتب سيد قطب رحمه الله لعدد من الطلاب فاستخرج كل طالب ما بدا له تحت إشرافكم، أو بإملائكم. لهذا فلا أتحقق من نسبته إليكم إلا ما كتبته على طرته أنه من تأليفكم، وهذا عندي كاف في التوثيق بالنسبة لشخصكم الكريم.

2- مع اختلاف الخطوط إلا أن الكتاب من أوله إلى أخره يجري على وتيرة واحدة وهي: أنه بنفس متوترة وتهيج مستمر، **ووثبة تضغط على النص حتى يتولد منه الأخطاء الكبار**، وتجعل محل الاحتمال ومشتبه الكلام محل قطع لا يقبل الجدال...وهذا نكث لمنهج النقد: الحيدة العلمية .

3- من حيث الصيغة إذا كان قارنًا بينه وبين أسلوب سيد رحمه الله، فهو في نزول، سيد قد سَمَا، وإن اعتبرناه من جانبكم الكريم فهو أسلوب "إعدادي" لا يناسب إبرازه من طالب علم حاز على العالمية العالية، لا بد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي، والقدرة على البلاغة والبيان، وحسن العرض، وإلا فليكسر القلم[1].

4- لقد طغى أسلوب التهيج والفزع على المنهج العلمي النقدي .... ولهذا افتقد الرد أدب الحوار.

---

[1] – رحم الله الشيخ بكر وغفر له ، وأين الثرا من الثريا !! وكيف يشترط هذا الشرط الإعجازي على هؤلاء المساكين !!

5- في الكتاب من أوله إلى آخره هجم وضيق عطن وتشنج في العبارات فلماذا هذا ...؟

6- هذا الكتاب ينشط **الحزبية** الجديدة التي أنشئت في نفوس الشبيبة جنوح الفكر بالتحريم تارة، والنقض تارة وأن هذا بدعة وذاك مبتدع، وهذا ضلال وذاك ضال.. ولا بينة كافية للإثبات، وولدت غرور التدين والاستعلاء حتى كأنما الواحد عند فعلته هذه يلقي حملاً عن ظهره قد استراح من عناء حمله، وأنه يأخذ بحجز الأمة عن الهاوية، وأنه في اعتبار الآخرين قد حلق في الورع والغيرة على حرمات الشرع المطهر، وهذا من غير تحقيق هو في الحقيقة هدم، وإن اعتبر بناء عالي الشرفات، فهو إلى التساقط، ثم التبرد في أدراج الرياح العاتية .[1]

هذه سمات ست تمتع بها هذا الكتاب فآل غير ممتع، هذا ما بدا إلي حسب رغبتكم، وأعتذر عن تأخر الجواب، لأنني من قبل ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل وإن تداولها الناس، لكن هول ما ذكرتم دفعني إلى **قراءات متعددة في عامة كتبه، فوجدت في كتبه خيراً كثيرًا وإيمانًا مشرفًا وحقًا أبلج، وتشريحًا فاضحًا لمخططات العداء للإسلام، على عثرات في سياقاته واسترسال بعبرات ليته لم يفه بها، وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان أخر والكمال عزيز**، والرجل كان أديبًا نقّادة، ثم اتجه إلى خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم والسنة المشرفة، والسيرة النبوية العطرة، فكان ما كان من مواقف في قضايا عصره، وأصر على موقفه في سبيل الله تعالى، وكشف عن سالفته، وطلب منه أن يسطر بقلمه كلمات اعتذار وقال كلمته الإيمانية المشهورة، إن أصبعًا أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمة تضارها... أو كلمة نحو ذلك، **فالواجب على الجميع ... الدعاء له بالمغفرة ... والاستفادة من علمه**، وبيان ما تحققنا خطأه فيه، وأن خطأه لا يوجب حرماننا من **علمه** ولا هجر كتبه.. اعتبر رعاك الله حاله بحال أسلاف مضوا أمثال أبي

[1] – سبحان الله !! ألهذا الحد وصل حسن الظن بهؤلاء من قبل الشيخ بكر رحمه الله !! أحقاً كان الشيخ بكر رحمه الله يعتقد بأن هؤلاء يفهمون كلامه هذا !!

إسماعيل الهروي والجيلاني كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية مع ما لديهما من الطوام لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة، وانظر منازل السائرين للهروي رحمه الله تعالى، ترى عجائب لا يمكن قبولها ومع ذلك فابن القيم رحمه الله يعتذر عنه أشد الاعتذار ولا يجرمه فيها، وذلك في شرحه مدارج السالكين، وقد بسطت في كتاب "تصنيف الناس بين الظن واليقين" ما تيسر لي من قواعد ضابطة في ذلك.

وفي **الختام** فأني أنصح فضيلة الأخ في الله بالعدول عن طبع هذا الكتاب "أضواء إسلامية" **وأنه لا يجوز نشره ولا طبعه** لما فيه من التحامل الشديد والتدريب القوي لشباب الأمة على الوقيعة في العلماء ، وتشذيبهم، والحط من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم..

واسمح لي بارك الله فيك إن كنت قسوت في العبارة، فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد وشفقتي عليكم ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لدي نحوه... جرى القلم بما تقدم سدد الله خطى الجميع..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم بكر عبدالله أبوزيد" (انتهى) ..

وللعلم فإن المدخلي لم يستمع لنصيحة هذا العالم العلّامة ، فطبع الكتاب وانتقد هو – ومريدوه الجهّال – الشيخَ الجليل بكر أبو زيد رحمه الله ، ورموه ببعض الأمور التي بيّنت جهلهم وقلّة عقولهم وأظهرت الحقد الذي في صدورهم ، فالله المستعان ..

رأي الشيخ المجاهد عبد الله عزام رحمه الله في سيد قطب :

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

ففي ليلة الخامس من ذي الحجة وفي تلك الخيمة المتواضعة على ضفاف نهر سرخاب من ولاية لوكر ، حيث الماء كاللّجين ، وعلى شاطيء الوادي بساتين التوت والمشمش تحيل المكان إلى قطعة ساحرة من الجمال الأخاذ والروعة الباهرة التي تأخذ بالألباب.

في هذه الليلة وبعد يوم حافل بقصف الطائرات الذي استمر من بعد صلاة الفجر حتى المساء جرى ذكر الأستاذ سيد قطب –رحمه الله تعالى– فتنبهت أننا في شهر أغسطس ، الشهر الذي استشهد فيه وأنه قد مضى عشرون عاما على شهادته ، فكان لا بد من الكتابة عنه ولو شذرات وأسطرا وذلك رمزا للوفاء وعنوانا للمودة والإخاء.

لقد بدأت أقارن بين تلك الأيام التي كان يكتب فيها سيد من وراء القضبان للجيل ، حيث كتب الله لي أن أعيش تلك الأيام التي أرخى الليل فيها سدوله على المنطقة وادلهم ظلامها ، وضاقت الأرض بما رحبت على الدعاة ، وخلا الجو للشيطان الرجيم يذرع الأرض شرقا وغربا .

أذكر تلك الأيام –لا أعادها الله علينا– ولا أذكر أني رأيت فيها فتاة واحدة من المتعلمات محجبة في بلدي ، وعندما كنا نرى فتاة تلبس جوارب تحت لباس المدرسة الذي يكاد يصل ركبتها نعجب بأخلاقها ونتحدث بآدابها.

كان في جامعة القاهرة التي تعد فيها الفتيات حوالي خمسين ألفا ، فتاة واحدة ملتزمة اللباس الشرعي وهي ابنة شقيقة سيد قطب –رحمه الله تعالى –.

أذكر أن مظاهرة خرجت في عام (1967م) قبل الإحتلال اليهودي بثلاثة أشهر في المدينة التي أنا منها –جنين/فلسطين– تعبر عن سخطها على اليهود وتندد بالظالمين وتهتف بحب عبد الناصر ، فلم تجد تعبيرا صادقا عن سخطها أوضح ولا أقوى من أن تدخل دار الدعوة الإسلامية وتمزق المصاحف والتفاسير وتلقيها في شوارع المدينة!! ولا زال منظر أوراق المصاحف يهز الأوصال بتذكرها .

ولم يفسح الأجل للأستاذ سيد أن يرى الثمار المباركة التي أثمرها الله عزوجل **من غراس قلمه المبارك** .

لم ير الصحوة الإسلامية ولا رجوع الجيل إلى الله ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وددت يوم سمعت الحكم عليه بالإعدام أن أفتديه بنفسي وأمي وأبي ، وأذكر أني كتبت برقية لعبد الناصر أقول فيها: (الدعوة لن تموت والشهداء خالدون والتاريخ لا يرحم).

كنت أظن أن شهادته ستحدث فراغا في المنطقة ولكن {والله يعلم وأنتم لا تعلمون} ما كنت أظن أنه سيحصل هذا الدوي الهائل بشهادته ، وأن أفكاره ستعم المنطقة ، بل العالم الإسلامي كله فتحيا بها الأجيال..

ميزات سيد قطب:

لقد تميزت كتابات سيد قطب بمميزات كثيرة أفردتها من بين الكتابات المعاصرة وجعلتها فذة مشرقة ، وعلى رأس هذه المميزات التي: ميزته وميزت كتاباته:

1- نفاذ البصيرة وعمق النظر:

وذلك راجع أولا وقبل كل شئ إلى الإخلاص الذي تلمحه من خلال عباراته -كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا - ، والإخلاص يورث الفراسة "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"[1]

وأما عمق النظر فهذا يدركه كل من قرأ (المستقبل لهذا الدين) الذي صدر في الوقت الذي خيم فيه الظلام على المنطقة ، ولم تعد ترى فيها بصيصا من نور في هذا الليل البهيم ، وكثيرا ما كان يردد: (ستهب في المرحلة القادمة على المنطقة رياح من الإسلام الأمريكي!?) وقد كان!.

[1] – [أخرجه البخاري في التاريخ والترمذي عن أبي سعيد الخدري وهو في ضعيف الجامع الصغير برقم (127)].

ولقد رأيت هذه الملامح على تفكير أخيه الأستاذ محمد قطب –حفظه الله– ، فكثيرا ما كان يحدث بأمور يتوقعها كنت أحسبها أيامها ضربا من الخيال أو إغراقا في الأوهام ، ثم رأيتها واضحة جلية في واقع الأرض..

2– سعة الأفق:

وهذا راجع إلى عاملين:

أولهما: الإطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام.

ثانيهما: سعة ثقافته واطلاعه على الثقافة الإنسانية.

أما اطلاعه على المخطط العالمي لضرب الإسلام ممثلا بالحركة الإسلامية ، فلقد كان مبعوثا لوزارة المعارف المصرية إلى أمريكا في الوقت الذي لم يكن يعرف فيه حقيقة الإسلام بعد ، ولم يلتزم بعد بتعاليمه ، فيقول عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا: (كنت أحد ستة نفر من المنتسبين للإسلام في باخرة تشق عباب الأطلسي ميممة شطر أمريكا) وفي أمريكا جرت له حادثتان كانتا سببا لدخوله في الحركة الإسلامية (كما حدثني بذلك أحد أرحامه):

أولهما: –كما يحدث هو– كنت في (31) شباط (1949م) مستلقيا على أحد أسرة مستشفى في أمريكا فرأيت رقصا صاخبا وموسيقى وأنوارا ورأيت الإبتسامات تعلو الوجوه ، والفرح يغمر المستشفى فقلت: أي عيد هذا الذي تحتفلون به قالوا: اليوم قُتل عدو النصرانية في الشرق ، اليوم قتل حسن البنا.

قال: فهزتني هذه الكلمة من أعماقي.

ثانيهما: إن السفارات العالمية كانت تتسابق على اصطياد الشباب المسلم ، وسيّد كصحفي معروف كان أحد هؤلاء الذين تدور حولهم العيون ليكون صيدا سهلا وفريسة مستساغة لصائده ، فدعاه مدير الإستخبارات في السفارة البريطانية في واشنطن إلى بيته.

قال سيد: فعندما دخلت بيته كم أذهلني مفاجأة أني رأيت عنده كتاب (العدالة الاجتماعية) ، ولم يكن قد وصل أمريكا إلا نسخة واحدة أرسلها لي أخي محمد ، إذ أنه قد أشرف على طباعة

الكتاب في غيابي ، وبدأ الحديث عن الشرق ومصر وتوقعات المراقبين بأن الوريث للحكم الملكي القائم هو أحد اثنين: إما الشيوعيون وإما الإخوان المسلمون ، والمرجح أنهم الإخوان ، ثم بدأ يفتح لي ملفا خاصا بالإخوان فيه من التفصيلات والجزئيات مما يدق على أبناء مصر أنفسهم حتى المختصين ، ثم قال: إذا وصلت جماعة الإخوان إلى الحكم فإنها ستحرم مصر من ثمار الحضارة الغربية ، ثم قال أخيرا : نحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن يحولوا بين الإخوان وبين الوصول إلى الحكم ، لأن وصولهم هو نهاية مصر المؤسفة الأليمة!? قال سيد: وفي بيت مدير الإستخبارات البريطاني في واشنطن قررت أن أدخل جماعة الإخوان فور عودتي ، لأنه لا يمكن لجماعة تكيد لها الدوائر العالمية هذا الكيد أو تخطط ضدها هذا التخطيط إلا أن تكون الجماعة على الحق.

لقد دخل سيد جماعة الإخوان ، وقد عرف بنفسه الكيد الهائل ضد الإسلام والكراهية العميقة التي لا يمكن للغرب أن يخفيها.

– وأما سعة ثقافته: فيقول عن نفسه [1] (إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة ، كان عمله الأول فيها هو القراءة والإطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية ... ما هو من تخصصه وما هو من هواياته .. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوّره: فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلا ضئيلا إلى جانب ذلك الرصيد الضخم – وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك – وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره ، فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها[2].. وعلى

---

[1] – [معالم في الطريق لسيد قطب ص(143)].

[2] – روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال "لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية" ، ومن المآخذ التي تؤخذ على بعض العلماء اليوم عدم معرفتهم بأحوال من حولهم من الأمم والشعوب بل حتى أحوال البلاد التي يعيشون فيها ، فبعضهم دفن نفسه في مكتبه واعتزل العالم ، وآخرون عاشوا في بيئة علمية بحتة بين أفراد قلائل من طلبة العلم والعلماء لا يتجاوزونهم لغيرهم ، وبعضهم لا يخرج إلى الأسواق أو أماكن العامة خشية اجتماع الناس عليه ، وهكذا انعزل بعض العلماء عن واقع الناس وعاشوا في أبراج عاجية يسمعون عن الناس ولا يرونهم ، فتصوّرهم لمشاكل الناس وأحوالهم تصور مبني على النقل لا المشاهدة ، والفرق بين الأمرين كبير ، وهذا الإنطواء وهذه الإنعزالية لم يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم أوالصحابة ، وكذا كبار علماء هذه الأمة ، وقد روي أن عيسى عليه السلام كان يجتمع بالعصاة من العوام فقال له تلاميذه : لم تجتمع بهؤلاء وتتركنا ، فقال "إن الصحيح لا يحتاج إلى دواء" !!

انحرافها وضآلتها وقزامتها وعلى جعجعتها وانتفاشها وعلم غرورها وادعاءها وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي)[3].

3- الجـــــديـــــــة:

لقـد كان سـيد جادا فيـ جاهليتـه وإسـلامه فلم يكـن يهادن ولا يداهـن ، لقـد كان واضحـا كالشمس في رابعة النهار مستقيما كحد السيف ، و من هنا أخرج مجلة كان صاحب الإمتياز فيها الميناوي ، فخرج منها ثلاثة أعداد كلها صودرت ثم أغلقت ، ولقد أرسل الملك من يغتاله ولكن الله نجاه من اليد الأثيمة..

لقد كان دائما يردد: (أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب نصفه لله ونصفه للدنيا) [نقلا عن الثقات].

وكان يقول: إن اصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر به حكم طاغية ، حدثت شقيقته حميدة أثر خروجها من السجن -وأنا أسمع- قالت: جاءني مدير السجن الحربي حمزة البسيوني يوم (28) أغسطس (1966م) وأطلعني على قرار الإعدام الموقع من عبد الناصر بإعدام سيد قطب ثم قال: إن إعدام الأستاذ سيد خسارة للعالم الإسلامي والعالم أجمع وأمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ من حبل المشنقة ، و هي أن يعتذر على التلفاز

---

[3] – لقد كان سيد في بداية حياته معجباً أيما إعجاب بكثير من المؤلفين الغربيين وهذا ما حداه لأن يكيل لبعضهم المدائح، ولكن بعد أن هداه الله للقرآن والسنة وعلم انحراف هؤلاء وقزامتهم وضحالة فكرهم فأخذ ينتقد كل ما عندهم ويُعلي شأن التراث الإسلامي ويُبرزه وحده. وقد تمسك بعضهم بأقوال سيد رحمه الله في بدايات حياته ليطعنوا فيه زاعمين أن سيداً متأثر في كتاباته بالمؤلفين الغربيين وأنه مبهور بهم ، وهؤلاء إما تجاهلوا كتب سيّد الأخيرة عمداً ، أو جهلوا ما مر به سيد رحمه الله من أطوار في مشواره العلمي والفكري.

فيخفف عنه حكم الإعدام ثم يخرج بعد ستة أشهر من السجن بعفو صحي ، هيا فاذهبي إليه لعلنا ننقذه.

قالت حميدة: فتوجهت إليه لأبلغه الخبر فقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسيعفون عنك.

فربت سيد على كتفي قائلا : عن أي شئ أعتذر يا حميدة!! عن العمل مع الله؟! والله لو عملت مع أي جهة غير الله لاعتذرت ، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله.

ثم قال: اطمئني يا حميدة إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام ولن يغني الإعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره.

أية طمأنينة ، وأية ثقة هذه التي يتمتع بها هذا القلب الكبير.. أية راحة وأية سكينة هذه التي يسكبها الله على الفؤاد وعلى النفس المؤمنة! ومن علامة جدّيته: أنه استقال من وزارة المعارف في اللحظة التي قرر فيها دخول الحركة الإسلامية.

4- الإحتياط والورع والهيبة أمام النصوص القرآنية:

ويبدو هذا من خلال تفسيره لكتاب الله فيقول –في ظلال القرآن– عند آية:

(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) (البقرة: 238)

(أشهد أني وقفت أمام هذه الآية ستة أشهر لا أنتقل إلى ما بعدها ، كيف جاءت آية الصلاة بين آيات الطلاق ، وكنت آمل أن يفتح الله علي في هذه الفترة ولكن لم يفتح الله عليّ ، فإن فتح الله على أحد من القراء فليتفضل إليّ مشكورا).

ويقول في مقدمة سورة الرعد [تفسير الظلال (4/2038)]. (كثيرا ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوبي البشري القاصر المتحرج أن أشوبها بأسلوبي البشري الفاني ، ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لا بد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح. ومع هذا كله يصيبني رهبة ورعشة كلما تصديت للترجمة عن هذا القرآن).

5- التركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله:

لقد هال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة ازاء تصفية الحركة الإسلامية جسديا سنة 1954م ، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحلمية) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلا ، وهي تكبر وتهتف ، ما بالها الآن بكماء عمياء صماء؟ بل إن قِسْماً ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم.

لقد وقف طويلا أمام هذه الظاهرة وأخيرا وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله).

حدثني أحد الإخوة قال: إن مراسم الإعدام تقضي أن يكون أحد العلماء حاضرا تنفيذ الإعدام ليلقن المحكوم عليه الشهادتين! فعندما كان سيد يمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة اقترب منه الشيخ قائلا : (قل لا إله إلا الله) فقال سيد: **حتى أنت جئت تكمل المسرحية نحن يا أخي نعدم بسبب لا إله إلا الله ، وأنت تأكل الخبز بلا إله إلا الله.**

وبعد هذا كله (بنو أسد تعزرني على الإسلام) كلمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالها عندما جاء وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعدا ، حتى قالوا: إنه لا يحسن الصلاة! يروي البخاري عن قيس قال: سمعت سعدا رضي الله عنه يقول: "إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبي – صلى الله عليه وسلم- ومالنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى أن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد (تعزرني على الإسلام) لقد خبت إذاً وضلّ عملي".

وما أشبه اليوم بالبارحة ، إن بعض الناس بدأوا يشككون في عقيدة سيد قطب ، حتى إنه ترامى إلى مسامعي أن باحثا يؤلف كتابا سماه (تنقية الظلال من الضلال!) ولقد بالغ بعض القوم حتى قالوا أن سيدا يقول (بوحدة الوجود) وكأنهم لم يقرأوا مئات المرات في الظلال التفريق بين الخالق والمخلوق.

والذ ين يتابعون تغ ير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابة سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم.

والحق أنني ما تأثرت بكاتب كتب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب ، وأني لأشعر بفضل الله العظيم عليّ إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب ، فقد وجهني سيد قطب فكرياً وابن تيمية عقدياً وابن القيم روحياً والنووي فقهياً ، فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثرا عميقا .

ولقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته ، ففي السنة التي استشهد فيها طبع الظلال سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته ، ولقد صدق عندما قال: (إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء).

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين عالي الهامة ، وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال ، بعد أن وضّح معان غابت عن الأذهان طويلا ، وضح معاني ومصطلحات : الطاغوت ، الجاهلية ، الحاكمية ، العبودية ، الألوهية ، ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء ، والتوحيد والتوكل على الله والخشية منه والإلتجاء إليه.

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي وفي الجيل كله فوق الأرض كلها ، إن بعضهم لا يطلب منك لباسا ، وإن كان عارياً ، ولا طعاماً ، وإن كان جائعاً ، ولا سلاحاً ، وإن كان أعزلاً ، ولكنه يطلب منك كُتب سيد قطب.

وكم هزني أن أسمع أن هنالك قواعد جهادية في أفغانستان وعمليات حربية يطلق عليها اسم سيد قطب.

ومن جميل الموافقات العجيبة أن أستاذنا الكبير في الجهاد في فلسطين (صلاح حسن) كان يعد لعملية في فلسطين يسميها عملية (سيد قطب) ولشدة ما كانت الدهشة أن صلاح حسن قد استشهد في ليلة (29) أغسطس نفس الليلة التي أعدم فيها سيد قطب.

رحم الله سيد قطب.. ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عبد الله عزام" (انتهى) ..

وللشيخ عبد الله عزام -كما ذُكر آنفاً – رسالة قيّمة تحدّث فيها عن سيد ومناقبه وردّ فيها على الشبهات ، وهي بعنوان "عملاق الفكر الإسلامي" ، فلا بد من مراجعتها ..

وهذه فتوى للشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين حفظه الله ورعاه وأطال عمره في طاعته ، حيث سُئل رحمه الله عن شباب يبدّعون سيّد قطب وينهون عن قراءة كتبه ويطعنون في حسن البنا ، فقال الشيخ ابن جبرين حفظه الله :

رأي الشيخ العلامة ابن جبرين حفظه الله في سيّد قطب :

"الحمد لله وحده ، وبعد :

لا يجوز التبديع ولا التفسيق للمسلمين لقول النبي صلى الله عليه وسلم "من قال لأخيه يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه"[1] .. وفي الحديث أن "من كفّر مسلماً فقد باء بها أحدهما"[2]

---

[1] – الحديث في صحيح مسلم بلفظ " ومن دعا رجلا بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك . إلا حار عليه"
[2] – جاء في صحيح البخاري ومسلم بلفظ "أيما رجل قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما"

.. و في الحديث "أن رجلاً مرَّ بر جل و هو يعمل ذنباً فقال : والله لا يغفر الله لك ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألّى عليّ ، أني لا أغفر لفلان ، إني غَفرتُ له وأحبطت علمك"[1] .

ثم أقول : إن سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين و من أهل الدعوة و قد نفع الله بهما وهدى بدعوتهما خلقاً كثيراً ولهما جهود لا تُنكر ولأجل ذلك **شفع الشيخ عبد العزيز بن باز في سيّد قطب عندما قُرّر عليه القتل** ، وتلطّف في الشفاعة فلم يقبل شفاعته الرئيس جمال عليه من الله ما يستحق ، ولما قُتل كل منهما أُطلق على كل واحد أنه شهيد لأنه قُتل مظلوماً ، وشهد بذلك الخاص والعام ، ونُشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار ، ثم تلقّى العلماء كتبهما ، ونفع الله فيهما و لم يطعن أحد فيهما منذ أكثر من عشرين عاماً ، وإذا وقع لهم مثل ذلك : كالنووي والسيوطي وابن الجوزي وابن عطية والخطابي والقسطلاني ، وأمثالهم كثير ، وقد قرأت ما كتبه الشيخ ربيع المدخلي في الرد على سيّد قطب ، ورأيته **جعل العناوين لما ليس بحقيقة** فردَّ عليه الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله ، وكذلك تحامل على الشيخ عبد الرحمن وجعل في كلامه أخطاء مضللة مع طول صحبته له من غير نكير.

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٍ ... ولكن عين السُّخط تُبدي المساويا

قاله وأملاه

عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين

في 16\2\1417هـ [2]

وهذا المحدّث العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله لما أراد بعضهم استصدار فتوى منه بضَلال سيّد قطب رحمه الله ، غلب على الشيخ رحمه الله روح المحدّث ، فجاءت هذه الشهادة على غير مبتغى السائل ومن وراءه :

---

[1] – جاء الحديث بألفاظ مختلفة من رواية أبي هريرة وابن مسعود وغيرهما ، وهو صحيح. (انظر صحيح الجامع).

[2] – أخذت الفتوى من كتاب "سيّد قطب : صاحب الظلال" لتوفيق الواعي وإبراهين منير (ص 114-115) الطبعة الأولى لمكتبة المنار الإسلامية (الكويت) ..

رأي الشيخ المحدّث الألباني رحمه الله في سيّد قطب رحمه الله :

"يكفي المسلم المنصف المتجرد أن يعطي كل ذي حق حقه وكما قال الله تعالى {وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} .. الرجل كاتب ومتحمس للإسلام الذي يفهمه ، ولكن الرجل أولاً : ليس بعالم ، وكتاباته "العدالة الإجتماعية" هي من أوائل تآليفه ، **ولمّا ألّفه كان محض أديب وليس بعالم** ، لكن الحقيقة أنه في السجن تطور كثيرا وكتب بعض الكتابات **كأنّا بقلم سلفي ليست منه** ، لكن أنا اعتقد بأن السجن يربي بعض النفوس ويوقظ بعض الضمائر ، فكتب كلمات .. يعني يكفي عنوانه الذي يقول "لا إله إلا الله : منهج حياة" ، لكن إذا كان هو لا يفرِّق بين "توحيد الألوهية" وبين "توحيد الربوبية" فهذا لا يعني أنه هو لا يفهم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأنه يجعلهما شيئا واحداً[1] ، لكن يعني أنه ليس فقيها وليس عالماً وأنه لا يستطيع أن يعبّر عن المعاني الشرعية التي جاءت في الكتاب والسنة لأنه لم يكن عالماً ..

[سُئِل: هل يُردُّ عليه ، فقال].. يُرَدُّ عليه لكن بهدوء وليس بحماس ، يرد عليه وهذا واجب ، ليس الرد على المخطئ محصوراً بشخص أو أشخاص ، كل من أخطأ في توجيه الإسلام بمفاهيم مبتدعة وحديثة ولا أصول لها في الكتاب والسنة ولا في سلفنا الصالح والأئمة الأربعة المتَّبعين فهذا ينبغي أن يُردّ عليه ، لكن هذا لا يعني أن نعاديه ، وأن ننسى أن له شيئا من الحسنات ، يكفي أنه

[1] – تتبعت الكثير من أقوال سيّد قطب رحمه الله في "توحيد الربوبية" فوجدت أن قصده منه قريب من توحيد الألوهية الذي نعرفه الآن : أي أن الله ربنا لا يجوز أن يُعبد سواه .. وتتبعت كلامه عن "توحيد العبودية" فوجدته يقصد به "إفراد المخلوقين الخالقَ بالعبادة" أي أن كل شيء سوى الله عبد له وحده دون غيره ، وهذا أيضا قريب من توحيد الألوهية ، ولكن المفاهيم عنده واضحة جداً وقد أوردها في كثير من المواضع في كتبه ، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} في سورة الأنعام ، ما نصه : "**وشهادة أن لا إله إلا الله تتمثل في الاعتقاد بأن الله – وحده – هو خالق هذا الكون المتصرف فيه** [وهذا توحيد الربوبية] . **وأن الله – وحده – هو الذي يتقدم إليه العباد بالشعائر التعبدية ونشاط الحياة كله** [وهذا توحيد الألوهية] . **وأن الله – وحده – هو الذي يتلقي منه العباد الشرائع ، ويخضعون لحكمه في شأن حياتهم كله** [وهذا ما يسميه سيد رحمه الله "توحيد الحاكمية"] " ..

رجل مسلم ، ورجل كاتب إسلامي– على حسب مفهوم الإسلام كما قلت أولاً – **وأنه قُتل في سبيل دعوته للإسلام ، والذين قتلوه هم أعداء الإسلام** ، أما أنه كان منحرفا في كثير أو قليل عن الإسلام فأنا في اعتقادي ، قبل [.... كلمات غير واضحة....] أنا الذي قُوطعت من جماعة الإخوان المسلمين هنا بزعم أنني كفّرت سيّد قطب !! وأنا الذي دللت بعض الناس على أنه يقول بوحدة الوجود في بعض كتاباته في نفس التفسير[1] ، لكن في الوقت نفسه أنا لا أُنكر عليه أنه كان مسلماً ، وأنه كان غيوراً على الإسلام وعلى الشباب المسلم ، وأنه يريد إقامة الإسلام ودور الإسلام ، لكن الحقيقة : أوردها سعد و سعد مشتمل ، ما هكذا يا سعد تُورَد الإبل .. والسلام عليكم .... يحذِّر من كتبه من الذين لا ثقافة إسلامية صحيحة عندهم" .. (انتهى)[2] ..

وهذه رسالة وجهها الشيخ عبد الله بن حسن القعود[3] لأحدهم لما سمعه يطعن في كتاب "المعالم" لسيد قطب رحمه الله :

رأي الشيخ القعود في سيّد قطب رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم ومحبي الفاضل الشيخ .... حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فانطلاقاً من نصحي لك ومحبتي لك التي لم تهتز – والله وبالله – حتى مع بواعث هذه الكتابة، وأرجو أن تظل تزداد قوة إلى أن نلقى الله محققاً فينا قول رسوله عليه الصلاة والسلام: "... تحابا

---

[1] – جاءت الإشارة أن الشيخ عبد الله عزام رحمه الله رد على الشيخ الألباني رحمه الله في مقالته "عملاق الفكر الإسلامي" ، وأنكر هذا القول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله الذي اطلع على تراث سيد رحمه الله ..

[2] – هذا رابط الكلمة في موقع طريق الإسلام :
http://www.islamway.com/?iw_s=Lesson&iw_a=view&lesson_id=37412

[3] – من مواليد سنة 1343هـ ، وهو عضو سابق في هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء ، ومفتشاً للمواد الدينية في وزارة المعارف حتى أحيل للتقاعد ، وهو خطيب ومحاضر للدراسات العليا في جامعة الملك سعود.

في الله.. الخ" ([1]) أذكرك بأمور:

أولاً: إنك –كما تعرف– لا تزال في مستقبل العمر الذي أرجو الله أن يحفظه لك ويطيله في طاعة وعافية، وفي مستقبل التعلم ومستقبل التجارب والنضج، فرويداً –أخي– وطبخاً لما يصدر عنك تجاه من هم في ذمة الله خاصة الدعاة إلى الله ([2]) أحياءً أو أمواتاً عسى ألا تحتاج في موقف حياة أو ممات للاعتذار عنه.

ثانياً: وعظتُك شفوياً قبل أشهر بألا تكتب أو تقول شيئاً لـــه مساس بأحد الدعاة وأنت غضبان أو [زعلان] عليه، وذكّرتك بما تعرفه من قول رسول الله : "لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان" ([3])، ونغمة الصوت في الشريط الذي سأذكره تنبئ – مع الأسف – عن ذلك ، فضلاً عن المضمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثالثاً: نقل لي غير واحد قولك في اجتماع أخيار – نحسبهم كذلك – قولك في كتاب: "معالم في الطريق": هذا كتاب ملعون.

سبحان الله!! كتاب أخذ صاحبه ثمنه قتلاً – نحسبه في سبيل الله – بدافع من الروس الشيوعيين لجمال[4] ، كما يعرف ذلك المعاصرون للقضية، وقامت بتوزيع هذا الكتاب جهات عديدة في المملكة ، وخلال سنوات عديدة ، وأهل هذه الجهات أهل علم ودعوة إلى الله ، وكثير منهم مشايخ لمشايخك[5] ، وما سمعنا حوله منهم ما يستوجب ما قلت ، لكنك – والله أعلم – لم تمعن النظر فيه قبل أن تغضب ، وخاصة الموضوعات : جيل قرآني فريد ، الجهاد ، لا إله إلا الله منهج حياة ، جنسية المسلم عقيدته ، استعلاء الإيمان ، هذا هو الطريق .. وغيرها مما تلتقي معانيه في

---

[1] – البخاري ومسلم

[2] – روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ? قال: قال رسول الله: من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي لـــه ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته". كتاب الصلاة (فتح 1/496 ح 391).

[3] – متفق عليه، البخاري كتاب الأحكام (ح 7158)، ومسلم في الأقضية (ح 1717).

[4] – جمال عبد الناصر : حاكم مصر في وقته

[5] – والكتاب الآن ممنوع من الطبع والتداول في المملكة!!

الجملة مع ما تدين الله به ، فكيف بك إذا وقفت بين يدي الله وحاجّك هذا الشخص[1] الذي **وصفَته الإذاعة السعودية خلال سنوات متوالية "بشهيد الإسلام"** ، أو قال لك أحد تلامذتك أو زملائك هذه الجملة "ملعون : إما إخبارية أو دُعائية" ، فكيف تجيب من حملها على الإخبارية عن علم الغيب؟!

رابعاً: استمعت للشريط: حتى لا ..... وفي فهمي المحدود أن أغلب من ذكرت فيه ووصف العاملين به أو القائلين به أو المفتين به بالفسق والابتداع وخيانة الأمة أمور اجتهادية دائرة بين راجح في نظر من وصفتهم بذلك وبين مرجوح في نظرك أو – تنزيلاً – خطأ ، وأنت تعرف قول السلف في الخطأ.. قال الله: قد فعلت ([2]) . ثم الكثير ممن أومأت إليهم في كلامك عن المراكز الصيفية والرحلات الدعوية أو العلمية من عدود ([3]) الأناشيد وأسلوب الدعوة و..

و..على جانب من الخير والفضل والقيام بالدعوة إلى الله ، وكنت – حفظ الله لك عملك ذلك– من بينهم ، وفي مقدمة المذكورين سماحة والدنا الشيخ عبد العزيز بن باز الذي يفتي بأن أسلوب الدعوة ليس توقيفياً.

وقلت في ردِّك على من يقول بذلك : وهناك .. تقطع لسان القائل أن أسلوب الدعوة ليس توقيفياً، و لم تورد ما يتلاءم مع قولك من نص قرآني أو نبوي وغير ذلك مما أحسبه يختلف مع منهج السلف في الدعوة إلى الله الذي نرجو الله أن يبصرنا به ويحيينا جميعاً ويميتنا عليه إنه سميع مجيب.

ومعذرة فأظني لو رأيتك قبل تسجيل هذا الكلام لسبقتني عبرة الإشفاق عليك التي كادت في أثناء صلاةٍ أن تأخذ بي لمّا عَرَضْتَ لي فيها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[1] – أي : سيد قطب رحمه الله

[2] – وهو حديث في آخر آيات سورة البقرة {ربنا لا تؤاخذنا ..} رواه مسلم ، وانظر تفسير الآيات عند ابن كثير .

[3] – كلمة لم تتبين

أخوك

عبد الله بن حسن القعود .. (انتهى) ..

إنما نقلت هذه الكلمات لأقول للمتحاملين على سيّد من الجهّال والمتفيهقين الذين يحسبون أنهم خُلفاء يحيى بن معين والذهبي وابن حجر في تصنيف الرجال والحكم عليهم !! أقول لهم :

- من منكم أغْير على عقيدة الإسلام من الإمام حمود بن عقلا الشعيبي رحمه الله !!
- من منكم أكثر دقة وتأصيلاً ومعرفة بأصول النقد من العلاّمة بكر أبو زيد رحمه الله !!
- من منكم أكثر نصرة للأمة ولدينها من الشيخ المجاهد عبد الله عزام رحمه الله !!
- من منكم أغزر علماً وأحسن رأياً من الشيخ عبد الله بن جبرين حفظه الله !!
- من منكم أرسى قدماً في علم الرجال من الإمام ناصر الدين الألباني رحمه الله !!

هؤلاء الرجال – المشهود لهم – جمعوا بين العلم الدقيق والغيرة المشهورة والرأي السديد فحكموا بتجرّد ، أقرّوا بأخطاء سيّد القليلة و تبرؤوا منها ولكن لم يبخسوا سيداً حقه و لم يُنكروا فضله تحقيقاً لقول الله تعالى {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} والعدل يقتضي معرفة الأمر بحيثياته حتى يتم ، وبدون معرفة جل تراث سيّد ومعرفة المتقدم منه من المتأخر ومعرفة مراحل تطوره الفكري : لا يستقيم حكم ..

سيّد قطب : الشيخ الإمام العالم:

نحن نختلف مع بعض ما قاله الإمام الألباني رحمه الله ، خاصة في قوله بأن سيّداً "لم يكن عالماً" ، فهذا القول ليس دقيقاً وليس على إطلاقه ، فسيّد رحمه الله ليس فقيهاً أو محدّثاً بالمقياس الإصطلاحي للكلمتين ، ولكنه لا شك عالم بمهمّات وكلّيّات ومقاصد الدين ، ومتخصص في

بعض جوانبه التي منها "الحاكمية" و"حقيقة الجهاد" وعقيدة "الولاء والبراء" ، وهو من أفضل مَن كتب من المعاصرين عن "شموليّة الدّين" وعن حقيقة "لاإله إلّا الله" ، ولا شك أنه عالم بتفسير كتاب الله : يدلّ عليه كتابه "الظلال" وغيره من كتبه ، وقد قال عن نفسه أنه قرأ تفاسير العلماء ودرس القرآن **على أساتذته** ودرسه هو دراسة متعمقة لخمسة وعشرين سنة ، فكون الإنسان غير متخصص في بعض جوانب العلم الشرعي لا يخرجه ذلك من دائرة أهل العلم إن تخصص في جوانب أخرى ، فعلوم الشريعة كثيرة ، وأصلها : علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه ، وما عداها فهي داخلة فيها أو أدوات لها ، ومن المفارقات أن يصدر هذا الكلام من الشيخ ناصر رحمه الله ، فقد قال بعض العلماء الكبار في الشيخ ناصر قريب من مقولته في سيّد قطب ، قالوا بأن الشيخ الألباني "ليس فقيهاً بل هو محدّث" ، وذلك رداً على بعض اختياراته الفقهية ..

كان الأولى بالشيخ الألباني رحمه الله أن يفصّل مثل هذا التفصيل في سيّد رحمه الله فيقول : بأنه ليس من أهل الإختصاص في الفقه أو الحديث ، أما قوله أنه ليس بعالم فهذا ينفيه علم سيّد الغزير الذي أودعه كتبه ، وللمرء أن يتسائل : كم يحتاج حملة الدكتوراة للدراسة حتى يحصلوا على الشهادة !! وهل هناك من العلماء والمشايخ وطلبة العلم من حاملي هذه الشهادات وغيرهم من يستطيع الإتيان بمثل كتاب الظلال !! بل نذهب إلى أبعد من هذا ونقول : كم دراسة ماجستير أو دكتوراة في مشارق الأرض ومغاربها تناولت جوانب من كتاب الظلال بالثناء والإستحسان والإنبهار !!

نحن ، وإن كنا نظن بأن المقياس ليس هذه الشهادات التي تصدرها الجامعات بعد أربع سنوات دراسة ، إلا أننا نحكم على ما أنتجه سيّد قطب رحمه الله من مؤلفات علمية وفكرية أبهرت العلماء وأهل الإختصاص بعد أن قرأ أربعين سنة في شتى المعارف الإنسانية ، وخمسة وعشرون سنة دراسة متأنية فاحصة دقيقة واعية للقرآن الكريم بنظرة أدبية سياسية اجتماعية تحليلية تفسيرية عقدية حية بكل ما تحمل كلمة الحياة من معاني ، هذا مع ما أُعطي سيّد رحمه الله من ذكاء وبعد نظر وتذوّق وحسّ مرهف ، وما كابده من معاناة وما عاش من تجربة وما نال من

خبرة في الحياة ، فأخرج لنا سيّد – بفضل الله – هذا النتاج العملي الغزير الجليل[1] ، ثم يأتي أحدنا ويحكم عليه بعدها بعدم "العلم" !! عن أي علم نتكلّم إن لم يكن : فهماً لكتاب الله وعملاً به وموتاً من أجله !!

أليس العلم هو "حصول صورة الشيء في العقل" أو "إدراك الشيء على ما هو به" كما قال الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله في الحدود الأنيقة ، وفي إحكام الفصول "معرفة المعلوم على ما هو به عليه" أو هو ما قاله المناوي في التوقيف "الإعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع" ، وما قال الرازي في حلية الفقهاء "علمتُ الشيء وعلمتُ به ، وهو عرفانُكَهُ على ما به" ، فمن عرَف الشيء على حقيقته فهو عالم به ، وهل يُنكر أحد بأن صاحب الظلال أدرك وعرف حقيقة الدين وحقيقة مراد الله في كتابه !! وهل ينفي أحد معرفة صاحب الظلال بتفسير كتاب الله عز وجل !! أما إن كان المقصود "بالعالم" وصوله إلى درجة المجتهد المطلق ، فهذا لم يزعمه أحد لسيد رحمه الله ، ولكن ليأتنا أي رجل اليوم ويدعي أنه وصل لهذه الدرجة !! فلا يبقى إلا المقلدون ، وهم كل علماء هذا الزمان ..

إن للعلم الشرعي درجات نستطيع حصرها في :

1-معرفة نصوص الوحي وحفظها ،
2-ثم فهمها ،
3-ثم العمل بها ،
4-ولا يكون ذلك نافعاً إلا بالإخلاص ، فبهذه الأربعة يصبح الإنسان عالماً في ذاته.
5-ثم هذا العالِم إذا دعا إلى هذا العلم يصبح داعية إلى الله.

---

[1] – أخبر سيد قطب رحمه الله عن نفسه أنه كان يقرأ عشر ساعات في اليوم ، معنى ذلك أنه قرأ أكثر من تسعين ألف ساعة في القرآن وعلومه وتفاسير العلماء ، ولو حذفنا نصف هذا الوقت احتياطاً ، فكم تفسيراً أو كتاباً في علوم القرآن قرأه سيد رحمه الله في خمسة وأربعين ألف ساعة !!

6-وإن صبر على الدعوة وطريقها وداوم عليها فهذه مرتبة أعلى .
7-وإن دفع حياته ثمناً لها ، فهذه أعلى وأعلى.
8-وإن كان الثمن أتى من أمر إمام ظالم ونهية حتى يُقتل ، فهذه مرتبة السّيادة في الشهادة .
9-ومن خصّه الله بوحي فهو النبي ، وهو أعلى مترلة ممن سبقه لذاته ، ولإختيار الله – سبحانه وتعالى – له.
10-ومن أوحي إليه وأُمر بالدعوة فهو الرسول ، وليس في بني آدم مرتبة أعلى من مرتبة الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام.

لو تأملنا هذا ، ثم نظرنا إلى موقع سيّد من العلم والدعوة لوجدناه في المرتبة الثامنة (مع غلبة الظن بحسن نيته) ، فلينظر من نفى العلم عن سيد في أي مرتبة هو من هذه المراتب !!

لقد أردت أن أُأخر هذا الأمر عن قصد لأقول لأناس يتحرجون من كتابة لقب "شيخ" قبل اسم سيّد قطب رحمه الله !! يكتبون "أستاذ" ، وهي مرتبة – في عُرف الناس – أقل شأناً من الشيخ (وإن كانت في عرف البعض تساويه) ، ولا أدري سبب هذا ، ولكني أعتقد اعتقاداً جازماً بأن سيّد رحمه الله كان شيخاً وإماماً وعالماً ربّانيّاً ، وهذا اللقب إن لم يستحقه سيّد فإن أكثر من أضفي عليه هذا اللقب في حياته أو بعده لا يستحقّونه البتّة لأن كثير من هؤلاء لا يقارن بسيّد فهماً وعلماً وعملا ..

إن قراءة سيّد للقرآن ليست كقراءة غيره ، ودراسة سيد لكتب العلماء ليست كدراسة غيره ، فسيّد أوتي فهماً ودقة في النظر وتعمّقا قلّما يؤتاه إنسان ، ومما يدل على ذلك ما رواه عن نفسه في كتابه الجميل "طفل من القرية" حيث نقل لنا قصة طريفة ذات معانٍ كبيرة ، مفادها : أن عالماً أزهرياً زار قريتهم وأخذ يقرأ على مسامع العوام في المسجد رزمة من تفسير

الزمخشري !! وكان سيّد وقتها في العاشرة من العمر ، فلما تلى هذا العالم قول الله تعالى في سورة الكهف {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا...} رفع ابن العشر سنوات يده قائلاً : "يا سِيدْنا الشيخ ، لماذا حُذفت الياءِ في {نَبْغِ} بدون حرفٍ جازم" !! فأين طلاب جامعاتنا اليوم من فَهْم ابن العاشرة هذا !!

لقد حفظ سيّد القرآن بمجهود وإرادة فردية : شرع فيه وهو ابن ثمان وأتمه وهو ابن عشر سنوات ، وهذه همّة النوابغ من أهل الشأن !! وتثقّف ثقافة أدبية فكرية – أكثرها ذاتية – حتى أصبح من كبار النقّاد في شبابه وفي زمن قياسي قلّما يُعرف بين الأدباء ، ثم اتّجه للقرآن فأخرج كنوزاً ودرر أبهرت الجهابذة من العلماء حتى قال الأديب الألمعي الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن كتاب التصوير الفني لسيّد رحمه الله "**كتاب التصوير الفني في القرآن فتح والله جديد ، وسيد قطب وقع علي كتر من كنوز القرآن ، كأنّ الله ادخره له فلم يعط مفتاحه لأحد قبله ، حتى جاء هو ففتحه** ..."[1] ، فكيف مَن تكون هذه بعض صفاته لا يكون عالماً !! وما أدرانا أن سيداً رحمه الله لم يُثني ركبتيه في جوامع مصر يسمع دروس العلماء التي لعله يعي أكثرها أكثر ممن يُلقيها "فرب مبلغ أوعى من سامع" ، وكم هم الذين يحفظون ويسمعون ولكن لا يعون ، وإنما أوتيت الأمة من قلة الفهم والعمل ، وها هي الأعداد الغفيرة من طلبة الماجستير والدكتوراة يتخرجون من المعاهد الإسلامية يلقّبون بالألقاب ، وأحدهم لا يصلح أن يكون تلميذاً لسيّد رحمه الله ، وكثير من هؤلاء لو سألته عن تفسير بضع آيات في كتاب الله : لشرّق وغرّب وأتى بالعجائب !!

رأينا شباباً لم يبلغوا سن الرجال أضفى عليهم بعض كبار العلماء ألقاباً لا ندري مدى استحقاقهم لها!! فهذا العلّامة ، وهذا الجهبذ ، وهذا المحدّث ، وهذا الحافظ ، وهذا الشيخ

---

[1] – إن لم تكن هذه مبالغة من الشيخ الطنطاوي رحمه الله ، فكتاب الظلال أعظم بكثير واغزر فائدة من كتاب التصوير الفني الذي كتبه سيّد في بداية مشواره مع القرآن ..

اللامع ، وذاك السيف القاطع ، وهذا الجبل الشامخ ، وذاك للبدع قامع ، ثم يأتي هؤلاء ليقولوا "الأستاذ سيّد قطب" ، مع أن كثيراً من هؤلاء العلماء الشباب درسوا كتب سيّد وَنَهلوا منها ولا زالوا يقتطفون منهـا أطايـب الثمار ويتفيؤون ظلالهـ !! والعجيـب أن ترى بعـض طلبـة العلم يتحرجون مـن إطلاق لقـب شيـخ على الشيـخ "محمـد قطـب" حفظـه الله ، مـع أن هذا الرجـل العملاق أشرف على رسائلهم العلمية وعلى رسائل مشايخهم ، وربما مشايخ مشايخهم !!

في ظلال القرآن :

هذا الكتاب من أشهر كتب الإمام سيد رحمه الله ، وقد فسّر فيه سيد القرآن في ثلاثين جزء ، على عدد أجزاء القرآن :

-ظهرت الحلقة الأولى من سلسلة في ظلال القرآن على شكل مقالة في مجلة المسلمون في شباط (فبراير) 1952م

- وظهر الجزء الأول منه في 10\1952م ، ثم شرع في إصدار جزء كـل شهريـن ، فوصـل عدد الأجزاء إلى سـتة عشـر جزء فيـ ينايـر 1954م.

-أكمل الشيخ سيّد كتاب الظلال في السجن في نهاية الخمسينيات ، وكان المراقب على كتابه من قِبل الحكومة "الشيخ محمد الغزالي"[1] الذي أجاز جميـع الظلال إلّا تعقيـب الشيـخ سـيّد على سـورة "البروج" الذي نشره الشيخ سيد بعد ذلك في كتابه "معالم في الطريق" ..

[1] – ولد سنة 1335هـ وتوفي سنة 1416هـ (1917 – 1996م) ، فسيد رحمه الله حفظ القرآن كاملاً قبل أن يولد الغزالي رحمهما الله. اعتقل الغزالي لأقل من سنة في سجن "ليمان طرة" سنة 1965م، وهي ذات السنة التي سجن فيها سيد رحمه الله بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم. وللغزالي مؤلفات كثيرة مطبوعة.

-أصدر الشيخ سيّد الجزء الأول من الطبعة المنقّحة الأولى للظلال مطلع عام 1960 عن "دار إحياء الكتب العربية" ..

-ووصل في التنقيح إلى الجزء الثالث عشر (نهاية سورة إبراهيم) سنة 1964م.

-قُبض على الإمام سيّد بعد ذلك وحُكم عليه بالإعدام قبل تنقيح الباقي من تفسيره ..

تسابقت دور النشر – بعد وفاة الشيخ سيد رحمه الله – في طبع هذا الكتاب ، فطبعته بعض دور النشر طبعات غير قانونية ، وكان الناس يتخطّفون الكتاب كلما ظهر حتى ينفذ من الأسواق بسرعة مذهلة[1] ، فطُبع في السنة التي أعدم فيها : أربع طبعات ، وقيل سبع !! ثم اتفق الشيخ محمد قطب مع "دار الشروق" لتطبعه طبعة شرعية في ست مجلدات ، ولازالت هذه الدار تحتفظ بحق نشر هذا الكتاب الذي تُرجم إلى الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردية والأندونيسية وغيرها من اللغات ، وهو من أكثر الكتب الإسلامية انتشاراً في هذا القرن والذي قبله ، ومن أكثر الكتب العربية التي ألفت في القرن الماضي في عدد الطبعات ..

يعد هذا الكتاب تجديداً في علم التفسير لما حواه من نظرة سياسية إقتصادية إجتماعية حركية تفاعلية مع الواقع ، وهذا ما لا يوجد في كتب التفسير التي سبقته ، فالكتاب فَتَحَ آفاقاً جديدة للمفسرين بعده ولجَوا خلاله ليتذكّروا بأن القرآن لم يترل لزمان معيّن أو وقت معيّن أو ظرف معيّن ، بل هو صالح لكل زمان ومكان ومحرّك للبشرية وللأجيال المتعاقبة في كل فترة من فترات الحياة وفي كل مجال من مجالاته ، فهو الكتاب الذي طغى وهيمن على سائر الكتب

[1] – يقول الدكتور أحمد حسن فرحات عن سر قبول وذيوع وانتشار الظلال هو أن سيد قطب كتب الظلال مرتين : مرّة بمداد العالِم ، ومرة بدماء الشهداء ..

والأفكار والنظريات البشرية ، وهو كتاب حيّ مرِن ليس بالجامد ولا المتحجّر ، وهو الكتاب الذي فيه الجديد لكل عصر ولكل مِصْر لمن أمعن النظر فيه وتدبّره حق التدبّر ..

لقد زعم البعض بأن كتاب الظلال ليس كتاب تفسير ، وإنما هو "خواطر وانطباعات" كما قال مؤلفه في المقدمة !! وهذا الكلام لا يمكن تمريره دون بيان :

لقد فسّر سيّد القرآن بالقرآن ، وفسّر القرآن بالأحاديث ، وشرح مفردات الكلمات الغريبة ، وذكر أسباب النزول ، وتكلّم عن فقه بعض الآيات[1] ، وأتى بأقوال العلماء ، ورجّح بين الأقوال ، واستخلص من القصص العِبر والعظات ، وربط بين الأجزاء والسور ، وترك الإسرائيليات ، وربط كلام الله سبحانه بواقع الناس في زمانه والأزمنة الغابرة والمستقبلة بأسلوب لم يُسبق به ولم يأتِ بعده – إلى الآن – مثله أو يدانيه ..

وإذا كان التفسير ، كما قال الجرجاني في التعريفات : "توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة" ، فهل يخرج "الظلال" عن هذا التعريف ، أم هو زائد عليه !!

لو قال لنا رجل بأنه صنع آلة حديدة تمشي على أربعة عجلات ، ولها مقود وفرامل وكراسي وأبواب ومحرّك وجهاز نقل سرعة ، ورأيناها تمشي في الشارع مع بقية الآلات التي تُشبهها ظاهراً وباطنا ، ثم سماها "الآلة ذات الأربعة عجلات" ، فهل نغفل نحن عن حقيقة هذه الآلة !!

---

[1] – سمعت الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم يقول : أخبرني الشيخ الأستاذ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى بأن سيد قطب كان يلقي إليه بملازم في ظلال القرآن ليزداد اطمئناناً على المسائل الفقهية التي يطرحها في الظلال" (من شريط: أثر كتابات سيد قطب رحمه الله ، الجزء الثاني)

لعل سيداً قال ما قاله تواضعاً منه واستصغاراً لنفسه أمام المتقدمين من المفسّرين وتعظيماً لهذا القرآن الكريم ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن ننظر في كتابه ونحكم بما نراه منه .. لقد أتى الشيخ سيد بجميع شروط التفسير وزاد عليها في "الظِّلال" ، وهذا يجعله كتاب تفسير بالمعنى الإصطلاحي العلمي للكلمة ، فهو كتاب تفسير بدون شك ..

حقيقة التحذير من الظلال :

أما من **انتقد هذا الكتاب** ، وأوصى الناس بعدم قراءته ، فهو إما :

1- أنه لم يقرأ الكتاب أصلاً ، وحكم عليه بحكم غيره ، ووقع في هذا بعض العلماء الأفاضل !!
2- أو حكَم على مقتطفات منه فقط ، وهذا من باب {ولا تقربوا الصلاة} و{فويل للمصلين} ، ووقع في هذا بعض العلماء !!
3- أو لم يعرف حقيقة تنقيح الشيخ سيد لمواضع من كتابه ، فحكم لآراء الشيخ المتقدمة على المتأخرة ، وهذا من باب {وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (النحل : 67) ، ووقع في هذا كثير من الناس ..
4- أو أنه جاهل ، أو عاجز عن إدراك كلام سيد ومراده في مواطن من تفسيره ، وهؤلاء الذين لم يرتقي حسهم الأدبي إلى مستوى يليق بكتابات الشيخ سيّد الرفيعة المستوى ..
5- أو أنه حاقد حاسد لكثرة إقبال الناس على هذا التفسير الجليل لكتاب الله ، فتجده يعرف ويعلم حقيقة كلام الإمام سيّد في المواطن الأخرى ولكنه لا يُظهرها حسداً من عند نفسه مِن بعد ما تبيّن له الحق ، وهذا ما حصل مع المدخلي في كتبه ..

6-أو مُبغض لشخص الإمام سيد أو لجماعته ، وهؤلاء شرذمة من أتباع النكرات والمجاهيل : كالمداخلة والجامية وأشباههم ممن اتخذوا رؤوساً جُهّالاً فضلّوا وأضلّوا ، وسيأتي ذكرهم باختصار ..

7-أو لأسباب سياسية : وهؤلاء من الحكّام الذين غاظهم ما ترك الإمام سيّد من تراث حيّ يفضح كفرهم لتركهم التحاكم إلى شرع الله ، وعمالتهم للنصارى واليهود ، فأوحوا لبعض موظفيهم الطعن في سيّد ..

8-أو كان من الشيوعيين الذين كانت لهم صولة في مصر ، وناصبوا سيداً العداء لفضحه لهم وتعريتهم وبيان جهلهم وتهافت معتقداتهم وخبثها ..

9-أو من الدوائر اليهودية والأمريكية والأوروبية الذين عرفوا قيمة تراث الإمام سيّد وحقيقة كتبه التجديدية النهضوية التي تدعوا للرجوع إلى العقيدة والأخذ بأسباب القوة والإعتزاز بالدين ، مع ترجمة الإمام سيد لكل هذا ترجمة عملية ..

10-أو ممن يسمَّون زوراً بالعلمانيين (وتسميتهم الشرعية "المرتدين") فهؤلاء يكرهون كل ما يمت للإسلام بصلة ، والإمام سيّد كان من المجددين في الفكر الإسلامي ، فلا غرابة أن يكنّوا له كل الحقد والكراهية ..

11-أو من الذين آثروا الكسل على العمل ، وآثروا السلامة على الجهاد فادّعوا بأن سيداً رحمه الله إنما كتب ما كتب بسبب محنته ، وأنه كان شديداً على المخالفين الذين عذّبوه ، وأنه يخالف منهجهم "الوسطي" المبني على التعايش السلمي مع الحكومات ، وهؤلاء المساكين لم يُدركوا بعد بأن منهجهم الوسطي بات محل استهزاء وسخرية عند الحكام الذين كانوا – على الأقل – يحترمون سيداً لمواقفه الثابتة ..

12-أو مـن المنهزمين أمام الأفكار الغربيـة الكاذبـة المناديـة بالسـلام والتعايـش السلمي ، فهم يرون في كتابات سيد : منطق الإستعلاء الإيماني الذي لا يوافق دعوات الكفار الكاذبة للمساواة والتعايش السلمي ونبذ التعصّب الديني ، وهذه كلها دعوات صهيونية ماسونية قديمة ألبست ثوب التسامح والعقلانية والعولمة وما أشبه ذلك من الدعوات الكاذبة ..

ونحن لا يهمنا البيان للمرتدين أو الشيوعيين أو اليهود والنصارى والأوروبيين ، فأكثر هؤلاء يعرفون الحق ولكن آثروا أن لا يتّبعوه ، فهم كالأنعام {بل هم أضل} ، أما البقية ، فنقول فيهم :

حقيقة المطاعن في سيّد قطب رحمه الله :

تكمن المشكلة عند بعضهم في استحداث الشيخ سيّد لمصطلحات عبّر فيها عن بعض الحقائق الشرعية ، كمصطلح "توحيد الحاكمية" و"الإسلام الحركي" و"العدالة الإجتماعية في الإسلام" وغيرها من المصطلحات !!

الحقيقة أن هذه المصطلحات لا تخرج عن كونها مصطلحات عربية تعبّر عن مفاهيم شرعية موجودة في نصوص القرآن والسنة ، فالشيخ سيّد تتبع الأيات والأحاديث واستقرأها ثم وضع هذه المصطلحات التي تعبر عن مجموعة نصوص شرعية ثابتة ..

إن الذين ينتقدون الإمام سيّد لهذا الفعل جهلوا أو تجاهلوا بأن ما يدرسونه في كتب العقيدة المتأخرة من أصناف التوحيد الثلاثة : توحيد الألوهيّة ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات[1] إنما هي مصطلحات محدثة أتى بها المتأخرون من العلماء و لم يعرفها سلفنا الصالح من

[1] – وهناك خلاف بين العلماء في إضافة نوع رابع وهو "توحيد المتابعة" مع الأقسام الثلاثة ، والراجح أنه يندرج تحت توحيد الألوهية.

الصحابة ، وإنما تتبع العلماء آيات الكتاب والسنة وأرادوا أن يردّوا بهذا التأصيل والترتيب على أهل الأهواء والبدع فوضعوا هذه المصطلحات وحُدُودها ، وهي مصطلحات محدثة تعبّر عن معانٍ شرعية صحيحة ، وهذا شأن أكثر المصطلحات في العلوم الشرعية : كعلم الأصول والقواعد والحديث وعلوم اللغة العربية .. بل وحتى مصطلحي "العقيدة" و"التوحيد" من المصطلحات التي لم ترد – في ما أعلم – في الكتاب ولا في السنة[1] ، فأكثر هذه المصطلحات لم تكن موجودة في عهد الصحابة ولم يسمعوا بها في حياتهم وإنما استحدثها العلماء بعدهم لضبط العلم وتسهيله والرد على المخالفين ، فهل نلغي كل هذا التراث بزعم أنه مُحدث !![2]

لو نظرنا إلى هذه المصطلحات لوجدنا أنها من صلب الدين ولبّه ، وهي في معانيها صحيحة بلا شك ، ولكن مبانيها محدثة ، ولو قال أحدهم : أنا لا أؤمن بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ولكن أؤمن بتوحيد "المعرفة والإثبات" ، ولا أؤمن بتوحيد الألوهية ولاكن أؤمن بتوحيد "الإرادة والطلب" لكان مؤمناً بأقسام التوحيد الثلاثة لأن هذه المصطلحات لها نفس المعاني ، فهذه المصطلحات ليست مقصودة بذاتها ، وإنما المقصود دلالاتها ومعانيها وحدودها المصطلح عليها بين العلماء ..

إن توحيد الحاكمية جزء لا يتجزأ من توحيد الألوهية[3] ، فمن أراد تحقيق إفراد الله بالعبادة فلا بد له من تحكيم شرعه ، وإلا يكون مشركاً بالله – شرك طاعة – كما بيّن الله تعالى في

[1] – يقال أن أول من استخدم مصطلح العقيدة هو الإمام أبو حاتم الرازي (ت 327هـ) في كتابه "أصل السنة واعتقاد الدين"

[2] – وكذلك مصطلح "أهل السنة والجماعة" لم يكن موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإنما وجد بعد ظهور الفرق الأولى .. أما مصطلح "السلفية" فلا يمكن أن يكون موجوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة لأن الإنتماء به إليهم ، فكيف يقول إنسان بأنه سلفي وسلفه (النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه) لم يدعوا بأنهم سلفيون ، وإنما سموا أنفسهم ما سمّاهم به إبراهيم – عليه السلام – من قبل : "مسلمون" ، وقد اختلف العلماء في من هم السلف: فقيل هم الصحابة ، وقيل الصحابة والتابعون، وقيل هم الصحابة والتابعون ومن تبعهم، أي: القرون الثلاثة الأولى .. لو قال قائلهم بأنه "على منهج السلف" فهذا صحيح ، أما أن يقول بأنه "سلفي" فهذا فيه نظر ..

[3] – ولو بحث الإنسان ودقق النظر لوجد أن توحيد الحاكمية يندرج تحت أقسام التوحيد الثلاثة ، فهو جزء لا يتجزّأ منها.

كتابه في مواضع كثيرة ، مثل قوله تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الشورى : 21) ..

وليَظهَرَ جليّاً جهل بعض هؤلاء وتحكّم أهوائهم فيهم : انظر كيف ظنوا أن رمي سيّد وأتباعه بمصطلح "الحركيين" يعد منقصة !! لقد جهل هؤلاء بأن الحركة ضدها "السكون" ، وأن الإسلام لم يأتِ بالعلم النظري المجرَّد ، بل أتى بالعمل الذي هو مقتضى العلم ، والعلم لا ينفع صاحبه إن لم يعمل به[1] ، وتجد هؤلاء منكبّون على الكتب لا يتعدوهما إلى العمل بكثير مما فيها حتى ينفوا عن أنفسهم تهمة "الحركية" ، ولا ندري هل هذا إرجاء أم تصوّف أم جنون !!

و من جهلهم أيضا أنهم رموا الشيخ سيد بتهم متناقضة لا تجتمع : فقد رموه بالنّصب والرفض معاً !! ولا ندري كيف يكون المرء ناصبياً ورافضياً في نفس الوقت ، فمن المعلوم أن النّصب ضد الرفض !!

ومن التهم المضحكة التي رأيتها في بعض كتبهم قولهم بأن سيّد تعلّم الشعوذة والسحر ، وطعنوا في نيّة سيّد في حفظ القرآن وأنها غير سليمة ، وقالوا بأنه تربى في بيئة صوفيّة خرافية ، وهذا كلّه لمّا كان سيّد ولداً صغيراً في القرية !! واستنتجوا هذا من كتاب "سيّد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد" لصلاح الخالدي !! ونحن نخاف أن نرد على هذا "الفهم الثاقب" و"العبقرية الفذّة" التي تحلّوا بها والتي جعلتهم يطعنون في نيّة ولد لم يبلغ العاشرة من عمره !! لكن ندعوا القارئ إلى قراءة كتاب الدكتور صلاح الخالدي ، أو قراءة كتاب الشيخ سيّد قطب "طفل من القرية" ليعرف من أين أتت هذه التهم التي لم تخطر على بال أحد قبل هؤلاء "العباقرة" !!

وطرفة ثانية تدل على عبقرية هؤلاء الأفذاذ وفهمهم الذي لا يُجارى ولا يُبارى ، اتهامهم الإمام سيد بالإشتراكية !! لقد كان الإشتراكيون العرب يعدون الإمام سيد قطب ألد عدو لهم في

---

[1] – وهذا ما قرره الإمام محمد بن عبد الوهاب في أصوله الثلاثة ، وفي غيرها من الرسائل.

الأرض ، وقد كانت بقية أطياف الشعوب العربية ترد على الإشتراكيين في بلادهم بكتابات سيّد ومؤلفاته[1] ، ومع ذلك قال هؤلاء بأن الإمام سيد قطب "إشتراكي"[2] !!

وطامة أخرى من طوامهم قولهم بأن سيّداً كان ضد "الحكم بما أنزل الله" !! يرمونه بالخارجية وباستحداث "توحيد الحاكمية"[3] ثم يقولون هو ضد الحكم بما أنزل الله !! رجل سخّر قلمه وأفنى حياته وبذلها في سبيل تقرير "توحيد الحاكمية" ، هو ذات الرجل الذي لا يرى الحكم بما أنزل الله !! قاتل الله الهوى ..

ومن أعظم ما رموا به الإمامَ سيّد رحمه الله : قولهم أنه لا يعرف معنى "لا إله إلا الله" !! وهذه طامة ومصيبة عظيمة : فمن يعرف معنى "لا إله إلا الله" إن لم يعرفها الإمام سيّد قطب رحمه الله !! والله لا نعرف من كتب عن معنى "لا إله إلا الله" في عصرنا هذا مثلما كتب الشيخ الإمام سيّد قطب رحمه الله !! وكم كنا نود أن يجمع بعضهم ما كَتب سيدٌ في هذه الكلمة ، لا لنرد على هؤلاء ، ولكن ليعلم المسلمون حقيقة لا إله إلا الله ..

لما كان الشيخ سيّد رحمه الله يُساق إلى المشنقة تقدَّم إليه شيخ من المشايخ الرسميين ليلقنه الشهادتين !! تقدم إلى الشيخ سيّد فقال له : يا سيّد ، قل أشهد أن لا إله الآ الله !! فالتفت إليه الشيخ قائلا : "**حتى أنت جئت تتم المسرحية ، نحن نُعدم لإننا نقول "لا إله إلا الله" وأنتم تأكلون خبزا بلا إله الأ الله ، إتق الله يا هذا ، ولا تبقَ [أي لا تكن] سيفا للظالمين**" !! وكأن

---

[1] – خاصة كتابه "العدالة الإجتماعية" .

[2] – كثير ممن كان قريبا من سيّد رحمه الله قالوا بأن سبب إعدام سيّد رحمه الله هو أن الإشتراكيين (الشيوعيين) في مصر لما قرؤوا كتاب "معالم في الطريق" ذهلهم الأمر واخبروا به السفير الروسي وحذروه من كتابات سيّد ، فأخبر هذا بدوره الحكومة الروسية التي أمرت خادمها عبد الناصر بضرورة التصرف في الأمر ، وكان وقتها في موسوكو ، فأعلن منها نيته إعدام سيّد ورفاقه رحمهم الله .

[3] – وسيّد قطب رحمه الله لم يستحدث مصطلح "توحيد الحاكمية" ، وإنما نقله عن المودودي.

سيّداً رحمه الله شمل بكلامه هذا هؤلاء الذين يزعمون اليوم أنه لا يعرف معنى "لا إله إلا الله" !!
فرحم الله سيداً وتقبله في الشهداء ..

يجب أن يكون الشيخ رسميّاً معيّناً من قبل الحاكم لينال الرفعة والسمو عند هؤلاء !!
هؤلاء الذين كلما أتى مفتي لآل سعود تمسكوا به وتعلّقوا بتلابيبه وادعوا إمامته لهم ، وكأن هذا المنصب بابويّ يضفي القداسة والعصمة على أصحابه !! ولعلنا نسوق ما قاله مفتيهم عبد العزيز آل الشيخ عن سيّد قطب رحمه الله في جوابه عن سؤال :

رأي عبد العزيز آل الشيخ في الظلال :

السائل : سماحة الشيخ : مالفرق بين أحديّة الوجود في تفسير الظلال وفكرة وحدة الوجود الضالة ؟

المفتي : كيف ؟ كيف ؟ مالفرق بين ؟

السائل : مالفرق بين أحدية الوجود في تفسير الظلال وفكرة وحدة الوجود الضالة ؟

المفتي : يا إخواني **تفسير** سيد قطب "في ظلال القرآن" هو كتاب **ليس تفسير** لكنه قال "تحت ظلال القرآن" يعني كأنه يقول للمسلمين هذا القرآن نظام الأمة تعيش في ظلاله واستقوا من آدابه وانهلوا من معينه الصافي وأقبلوا بقلوبكم على القرآن لتجدوا فيه علاج لمشاكلكم وحل قضاياكم وتفريج همومكم إلى آخره .

والكتاب له أسلوب عال في السياق أسلوب عال ، هذا الأسلوب الذي كتب به السيد كتابه قد يظن بعض الناس بادئ بدء من بعض العبارات أن فيها شركا أو أن فيها قدحا في الأنبياء أو أن وأن .. ، ولو أعاد النظر في العبارة لوجدها أسلوبا أدبيا راقيا عاليا لكن لا يفهم هذا الأسلوب إلا من تمرس في قراءة كتابه ، والكتاب [كلمة غير واضحة] لايخلو من ملاحظات كغيره ، لا يخلو من ملاحظات ، ولا يخلو من أخطاء لكن في الجملة : أن الكاتب كتبه منطلق غيرة وحمية

للإسلام ، والرجل هو صاحب تربية وعلوم ثقافية عامة وما حصل منه من هذا التفسير يعتبر شيئا كثير [الجملة السابقة غير واضحة] فيؤخذ منه بعض المقاطع النافعة والمواقف الجيدة ، والأشياء التي أخطأ فيها يعلى [غير واضحة] ، عذره قلة العلم وأنه ليس من أهل التفسير لكنه صاحب ثقافة عامة وعباراته أحيانا يفهم منها البعض خطأ لأن أسلوبه فوق أسلوب من يقرأه ، فلو أعاد النظر مرارا لم يجد هذه الاحتمالات الموجودة وإنما هو أسلوب من الأساليب العالية التي يتقاصر عنه فهم بعض الناس فربما أساء الظن ، والمسلم لا ينبغي [كلمة غير واضحة] على وجود المعايب ، فليأخذ الحق ممن جاء به ، ويعلم أن البشر جميعا محل التقصير والخطأ ، [كلمة غير واضحة] والعصمة لكتاب الله ولقول محمد صلى الله عليه وسلم ، ما سوى الكتاب والسنة فالخطأ محتمل فيه لاسيما من إنسان عاش في مجتمعات لها ما لها وسافر للغرب سنين وإلى آخره ، لكن كفانا منه ما وجد في هذا السفر من بعض المقاطع والكلمات النافعة التي لو قرأها الإنسان مرارا لرأى فيها خيرا كثير ...

ثم قال **السائل** : أحسن الله إليكم ، هذا يعقّب على كلامكم قبل قليل عن تفسير سيد قطب وهل معناه الدعوة إلى قراءته من قبل المبتدئين في طلب العلم ؟

المفتي : والله أنا أقول طالب العلم إن قرأ به يستفيد ، الطالب بيميز [غير واضح] ، طالب العلم إذا قرأ في بعض المواضع حقيقة بعض المواضع فيها كتابا جيدا ، [غير واضح] الأخطاء ، ما أقول ، ما يسلم من الخطأ ، لكن ينبغي الإنصاف والاعتدال وأن لا نحمل ألفاظه فوق مايحتمله ، مانحمل الألفاظ فوق ماتحتمله ، ولانسيئ الظن .

والرجل له جهاد ، تعلمون أنه استشهد أو قتل شهيدا رحمه الله ، وله كتب كان فيها أخطاء

فتراجَع عنها ، لأن القرآن ، ربما كتابة **تفسير القرآن** عدّلت منهجه السابق ، والقرآن لاشك أن من اعتنى به وأكثر من قراءته ينقله من حال إلى حال (انتهى)[1]..

و قد سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – قبله عن سيّد قطب ومؤلفاته ، في سؤال ببرنامج "فتاوى نور على الدرب" هذا نصه :

السؤال : أرجو من سماحتكم أن تتفضلوا بإبداء رأيكم حول مؤلفات أبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي وسيد قطب ؟

رأي الشيخ ابن باز في كتب سيد والمودودي والندوي رحمهم الله :

فقال الشيخ رحمه الله : كلها كتب مفيدة ، كتب هؤلاء الثلاث [غير واضح] كلها كتب مفيدة فيها خير كثير ولا تخلو من بعض الأغلاط كل يؤخذ [غير واضح] من قوله ويترك ، ليسوا معصومين ، وطالب العلم إذا تأملها عرف مافيها من الأخطاء ومافيها من الحق [غير واضح] وهم رحمهم الله قد اجتهدوا في الخير ودعوا إلى الخير وصبروا على المشقة في ذلك وهم يحرصون [غير واضح] كتبهم خير كثير ولكن ليس معصومون ولاغيرهم من العلماء ..." (إلى آخر كلامه رحمه الله) ..

ورأيت رسالة للدكتوراة كتبتها أخت تدعى "أسماء بنت عمر حسن فدقع" مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، عنوانها "منهج سيد قطب في ظلال القرآن" أتت فيه بكلام جيد عن منهج سيد قطب وبعض تعبيراته التي أطلقها وبيّنت حقيقتها (كالجرس والإيقاع

[1] – [والمحاضرة كاملة من موقع الدعوة الخيرية – كتاب التوحيد–الدرس السادس http://www.al-daawah.net/suond/saif1426/almufti/tawheed/6th.rm تاريخ المحاضرة : 24-6-1426 هـ الموافق 2-8-2005 م]

والسحر وغيرها) ، ثم ذكرت في آخر بحثها المكون من جزئين (653 صفحة) بعض المآخذ والمزايا التي رأتها في كتاب الظلال ، فقالت (باختصار) :

أهم المآخذ :

1-الإستطراد في بعض المواضع
2-إغفال بعض الروايات الصحيحة في التفسير ، وعدم الإلتزام بتخريج بعض الأحاديث ، وتقديم بعض المرجوح على الراجح منها .
3-عدم اتباع نسق واحد في تفسير الآيات أو الكلمات.
4-الإكثار من ذكر المصطلحات الفنية .
5-استعمال بعض العبارات التي تمسه في عقيدته وفكره .

أهم المزايا :

1-استقاء الأفكار والمعلومات من معين القرآن مباشرة والدعوة إلى ذلك .
2-تأكيد صلاحية الآيات القرآنية لكل زمان ومكان .
3-التعريف بالسور القرآنية وتلخيص موضوعها الأساسي.
4-الإهتمام ببيان الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم بربط السور بعضها ببعض.
5-اتبع في تفسيره لكثير من الآيات طريقة التفسير بالمأثور ، ثم تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسيره بالسنة النبوية ، ثم تفسيره بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين .
6-التركيز على العقيدة وطريقة عرض القرآن لها والدعوة إلى أخذها من القرآن مباشرة.
7-عرَض منهج الحركة العملية الحية في تفسيره .

8-الإبتعاد عن المباحث الكلامية أو اللغوية أو الفقهية أو الجدلية ، والتركيز على إبقاء الجو القرآني الصافي .

9-أطال في بحث بعض المواضيع العقدية والإجتماعية والإقتصادية .

10-عالج الكثير من المشكلات المعاصرة وربط مشكلات العصر بتنحية شرع الله .

11-نجح في تعليله للأحكام والتشريعات والأوامر ، وبيان أن الحكمة فيها وجود الخير ...

12-أحسن في عرض صفات الجماعة الإسلامية الأولى ودعى المسلمين إلى السير على خطى أجدادهم ..

13-تفنن في تصوير العواطف والإنفعالات أثناء عرضه لقصص القرآن وجعل القارئ يعيش وبكل انسجام في ذلك الجو القرآني المؤثر يتنسم عبيره .

14-رد على الشبهات الباطلة التي تُثار حول الإسلام كمسألة تعدد الزوجات ومسألة الجهاد وغيرها من المسائل ..

15-أحسن في تناوله لبعض المسائل العلمية كمسائل الطب والفلك وغيرها واستخلص العبر والعظات من الآيات القرآنية التي تطرقت لها .

16-أعرض عن الإسرائيليات وبعض الخرافات الموجودة في بعض كتب التفسير .

17-صاغ الكتاب بأسلوب مشوق جذاب يجعل القارئ يعيش في جو النص القرآني ..

[ثم قالت] : أعتقد أن المتفق عليه أن للظلال طابعاً عاماً يتمثل في أمور ، هي :

1-السهولة والوضوح

2-الإستطراد وتبسيط المسائل العلمية

3-الأسلوب المشوق الجذاب

4-التكرار

وهذه الأمور – كما نعلم – تساهم مساهمة كبيرة في تثبيت المعاني في النفوس وجعلها ماثلة في الأذهان .. (انتهى) .

لقد ذكر سيد قطب رحمه الله مصطلح "**الإسلامي الحركي**" في مواضع كثيرة من كتبه ، وهو يقصد بهذا المصطلح : عدم الإكتفاء بالنظر في النصوص دون العمل بها ، وقال في مقدمة كتابه "مقومات التصور الإسلامي" : "إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاجات الأذهان الجامدة ، إن "المعرفة" في هذا الدين تتحول لتوها إلى "حركة" وإلا فهي ليست من جنس هذا الدين ! وحين كان القرآن يتنزّل ، لم يتنزل بتوجيه ، أو حكم إلا لتنفيذه لساعته .. أي ليكون عنصراً حركياً في المجتمع الحي ..." (انتهى) ..

لقد كان سيّد ينتقد كثير من الصوفية وأهل الإرجاء الذين لم يكونوا يحركون ساكنا لنصرة الدين ، فكان سيد رحمه الله يجدد فيهم روح الدين بدفعهم للعمل بالكتاب والسنة ، وهو بذلك يقول ما قال السلف بأن "الإيمان قول وعمل" ولكنه كان يقوله بتعبيره هو ، فالتعاليم الشرعية ليست سلبية ولم يبعث الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ليعلّم الناس القعود والإكتفاء بالعلوم النظرية دون التطبيق العملي ، وهذا هو "الإسلام الحركي" الذي يقصده سيد رحمه الله ، وهو الإسلام الذي حاربه الصليبيون واليهود طيلة الثلاثمائة سنة الماضية ، وكادوا أن ينتصروا في هذه الحرب بعد أن نخر في الأمة روح الإرجاء والتصوف السلبي بتشجيع منهم ، فأتى سيد رحمه الله ليحطّم هذا الجانب السلبي في المسلمين وينشر فيهم قول الله تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} (الرعد : 29) ، ويقول لهم بأن : الإيمان مقرون بالعمل الصالح ، ولا إيمان بلا عمل ، ومن العمل ما ينقض الإيمان كالشرك بالله ، ومن أعظم الشرك "شرك الحاكمية" الذي هو دليل واضح على عدم رضى المخلوق بما حكم الخالق ، فهذه الدساتير وهذه القوانين والمحاكم وهؤلاء القضاة وهذه المؤسسات وتلك الأموال التي تنفق في إجبار الناس على التحاكم لغير شرع الله هي في حقيقتها تحدٍ صارخ لألوهيّة الله ، وعدم التحاكم لشرع الله

لا يضر الأمة الإسلامية فحسب ، بل يضر كل كائن حي على وجه الأرض ، بل حتى الجمادات تتضرر بتنحية شرع الله ، وهذا من أعظم الظلم وأقبحه ..

ودعوة "الحركة" التي دعا إليها سيّد رحمه الله هي دعوة إلى إحياء الدين في قلوب الناس وعقولهم وفي حياتهم عملاً بقول الله تعالى {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام : 162) ، فلا يكتفي الإنسان بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، بل يجب أن تكون حياته كلها لله رب العالمين ، بل حتى مماته لله : فيحيى حياة شرعية كاملة ، ويموت في سبيل إعزاز دين الله ..

إن من البديهيات أنه "لا مشاحة في الإصطلاح" وأن الأصل في الأشياء المعنى لا المبنى ، فلا تهمنا المصطلحات طالما كانت تعبّر عن حقائق تحدّها ألفاظ هذه المصطلحات ، فماذا يهمنا لو كان "توحيد الألوهية" اسمه "إفراد العبادة" أو "توحيد العبادة" أو أي مصطلح ينطبق على المعنى المقصود ، وتوحيد الحاكمية هو : الإذعان لشرع الله وجعله المهيمن والحاكم في حياة المجتمع المسلم ونبذ ما سواه من شرائع وأحكام بشرية ، فهل هذا حق أم باطل !! ولا يضر سيّداً لو أطلق عليه "إفراد التحاكُم" أو أي شيء آخر طالما عُرف المعنى ..

ومن الكلمات التي أخذت على سيّد مصطلح "**المجتمع الجاهلي**"[1] الذي أطلقه سيد على المجتمعات الإسلامية ، والتي تدعي الإسلام في وقته ، فأخذوا من هذا أن سيداً يُكفّر أفراد المجتمعات الإسلامية ، وهذا بعيد كل البعد عن مقصود سيّد بهذه الكلمة ، وإنما طار بهذا الشيوعيون والعلمانيون في مصر في بداية الأمر ثم بعض الشباب الذين لم يفقهوا مقصود سيّد بهذه

[1] – لعل أوّل من استخدم هذا المصطلح في العصر الحديث هو العلامة "أبو الحسن الندوي" رحمه الله في كتابه "ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين" الذي ألّفه سنة 1950م، ثم جاء هذا المصطلح في كتب سيّد سنة 1951م فما بعد، وكأن سيداً استعار هذا المصطلح من الندوي رحمهما الله.

المصطلحات ، وقد بيّن سيّد رحمه الله هذا جليّاً في رسالته العجيبة "لماذا أعدموني"[2] !! وكذلك في محضر تحقيقه الذي نقله سامي جوهر في كتابه "الموتى يتكلّمون" ، ومن تتبع كلامه في "الظلال" و"المعالم" لا يخفى عليه ما يريد سيّد بهذا المصطلح القديم المتجدد ، فقد بيّن سيّد رحمه الله حقيقة مراده حينما عرّف المصطلح في كتاب "المعالم" فقال : "المجتمع الجاهلي هو : الذي لا يُطبَّق فيه الإسلام ، ولا تحكمه عقيدته وتصوّراته ، وقيمه وموازينه ، ونظامه وشرائعه ، وخلقه وسلوكه .. ليس المجتمع الإسلامي هو الذي يضم ناساً ممن يسمون أنفسهم "مسلمين" بينما شريعة الإسلام ليست هي قانون هذا المجتمع ، وإن صلى وصام وحج البيت الحرام ! وليس المجتمع الإسلامي هو الذي يبتدع لنفسه إسلاماً من عند نفسه ، غير ما قرره الله سبحانه ، وفصَّله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويسميه مثلاً : الإسلام المتطور ..." (إلى آخر كلامه رحمه الله) ، وله تعريفات أخرى في غير هذا الموضع للمجتمع الجاهلي كلها تصب في هذا القالب ..

يجب التنبيه هنا على أمر غاية في الأهمية ، وهو أن سيداً رحمه الله وصم "المجتمع" بالجاهلية وليس كل فرد في ذلك المجتمع ، والفرق بين الأمرين كبير وخطير ، ومثال هذا : المجتمع الجاهلي في مكة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ثلاثة عشر سنة في مكة "الجاهلية" ، ولا يقول مسلم بأن جميع أفراد ذلك المجتمع الجاهلي هم من "الجاهليين" .. أما مجتمع المدينة فلم يصبح إسلامياً إلا بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم واستلامه لزمام الأمور في المدينة ، وكانت تلك أول نواة "للمجتمع المسلم" في ذلك العصر الجاهلي ، ورغم ذلك كان يوجد في مكة وغيرها من البقاع "الجاهلية" في جزيرة العرب أفراد

[2] – قال الشيخ محمد قطب حفظه الله : أما كتاب "لماذا أعدموني " فهو ليس كتاب إنما هو محاضر التحقيق التي أجريت معه في السجن الحربي ، حذفت منها الأسئلة التي وجهها إليه المحقق وبقيت الأجوبة ، وقد استخرجها محمد حسنين هيكل من ملفات السجن وباعها لجريدة الشرق الأوسط فنشرتها في جريدة المسلمون مجزأة ثم نشرتها في صورة كتاب ، ولما كنا لم نطلع على أصولها فلا نستطيع أن نحكم على مدى صحتها ومن المؤكد أنهم حذفوا منها ما يختص بالتعذيب (وقد اعترفت الجريدة بذلك) أما الباقي فيحتمل صدوره عنه ولكن لا يمكن القطع بذلك وفضلاً عن ذلك فهذه التحقيقات كلها كانت تجري في ظل التعذيب .

ينتمون إلى الإسلام ، فهناك فرق بين "المجتمع الجاهلي" وبين أفراد ذلك المجتمع ، فينبغي فهم مراد سيد رحمه الله من هذا المصطلح ، ولا يكون ذلك إلا بربط كلامه بعضه ببعض ..

لعلنا نعيد تلخيص هذه النقطة لأهميتها : لمّا تحاكم الناس إلى الأحكام الشرعية في المدينة أصبح المجتمع مسلماً رغم وجود الكفار واليهود والمنافقين فيها ، ولما كان الحكم في مكة للكفار وللأحكام الكفرية كان مجتمعاً جاهلياً رغم وجود النبي صلى الله عليه و سلم والصحابة فيها ، وهذا هو قول العلماء في المجتمعات الحربية أو ما يسمى بدار الحرب أو دار الكفر :

قال الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في المبسوط في تعريف دار الكفر : "هي الدار التي تكون فيها أحكام الكفر ظاهرة وإن كان جل أهلها من المسلمين" ..

وقال الإمام ابن مفلح في الآداب الشرعية "هي التي غلب عليها أحكام الكفر" ..

وقال ابن حزم في المحلى "إن الدار إنما تُنسب للغالب عليها والحاكم فيها والمالك لها"

وقال القاضي أبو يعلى في المعتمد "وكل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار الكفر" ..

وجاء في كشاف القناع "وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه بدار الحرب ، وهي : ما يغلب فيها حكم الكفر" وكلام علماء الإسلام يدور حول هذا المعنى ، فالعبرة في تحديد ما هية الدار إلى التحاكم لشرع الله ، فلو كانت داراً لأهل ذمة ويحكمها مسلم بأحكام الإسلام فهي دار إسلام ، ولو كانت دارٌ كل أهلها مسلمون ويحكمهم حاكم كافر بأحكام الكفر فهي دار كفر ولكن أهلها مسلمون ، وهذه الحقيقة تغيب عن أكثر الناس ، فليس العبرة بالسكان أو بإعلان الحرب ، وإنما العبرة بالأحكام التي تُحكم بها الدار ، وهذا ما بيّنه الإمام سيّد رحمه الله ، ولم يقل سيّد بأن جميع أفراد الشعب كفار أو جاهليون وإنما قال بأن الدار دار جاهلية لأنها تُحكم بأحكام الجاهلية ، وهناك فرق كبير بين الأمرين لمن أمعن النظر ..

وإذا كنّا نقيس كلام الإمام سيّد بمقياس منتقديه الغريب فلماذا لا نستخدم نفس المقياس مع غيره !! الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وضع عشرة نواقض للإسلام لو طبّقناها حرفيّا لم يبقى على وجه الأرض إلّا نفر قليل جداً من المسلمين ، ومن الغريب أن بعض الذين يزعمون إتباع دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب يتجاهلون بأنه وضع ناقضين من النواقض العشرة (الرابع والتاسع) في الحكم بغير ما أنزل الله ، فلماذا لا يقيسون بنفس المقياس !! ولماذا لا يأخذ خصومهم كلام الإمام المجمل حرفيّاً في هذه النواقض ويتركون بقية كلامه التفصيلي كما يفعلون مع غيره !!

وأنقل هنا كلاماً للعلامة محمد رشيد رضا – رحمه الله – في مقدمته لكتاب " صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" للسهسواني الهندي رحمه الله[1] ، حيث قال رحمه الله واصفاً المجتمع في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "مَن هؤلاء المسلمين الذين خالفهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ؟ هم أعراب في البوادي **شر من أهل الجاهلية** ، يعيشون بالسلب النهب ، ويستحلون قتل المسلم وغيره لأجل الكسب ، ويتحاكمون إلى طواغيتهم في كل أمر ، ويجحدون كثيراً من أمور الإسلام المجمع عليها التي لا يسع مسلماً جهلها ، ولا يقيمون ما حفظوا اسمه منها ، ولكنهم قد يسمّون أنفسهم مسلمين ..." إلى آخر كلامه رحمه الله ، فهل هناك فرق بين هذا الكلام الذي كان يُطبع ويُنشر بإشراف علماء نجد وحكامها ، وبين كلام سيّد رحمه الله ، إلا أن يكون كلام سيّد رحمه الله أخف من كلام الشيخ رشيد رضا لأن الأخير وسمهم بأنهم "شر من أهل الجاهلية" والإمام سيّد قطب رحمه الله قال بأنهم مساوون لأهل الجاهلية ..

[1] – هو العلامة المحدث الشيخ محمد بشير الفاروقي : نسبة إلى الفاروق عمر رضي الله عنه ، توفي سنة (1326هـ) عن (74) سنة .. وكتابه رد على كتاب "الدرر السنية في الرد على الوهابية" لمفتي مكة المكرّمة الشيخ أحمد زيني دحلان ، وقد حشى دحلان كتابه بالكذب والمناكير والأحاديث الموضوعة ما ظن أنه انتصاراً لمذهبه القبوري ، فأطال السهسواني النفس في الرد عليه فأجاد أيما إجادة ، وكتابه من أفضل الكتب في الرد على القبورية ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ..

وهذه كلمات للشيخ **فيصل مولوي** تبيّن حقيقة أمر "تكفير" سيّد رحمه الله للمجتمعات ، فقد سُئل حفظه الله – هذا السؤال : هل قال الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله بما معناه (كفر المؤذنون ولو قالوا لا اله إلا الله) ؟ وهل تؤيده بذلك ؟ وماذا يمكن أن يعني ذلك غير التكفير الصريح؟

فأجاب :

"الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد ...

لم أقرأ هذا النص بحرفيته للاستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله. لكن كثيرا من النصوص التي قالها تشبه هذا النصّ وتثير إشكالا ، ويمكن أن يساء فهمها ، وقد وُجد فعلا مجموعات من الشباب المتطرف الذي أساء فهم هذه النصوص ، وبنى عليها فكر تكفير الناس والعزلة عن المجتمع والخروج عليه ومقاتلته. من هذه النصوص ما ورد (في ظلال القرآن) عند تفسيره للآيات (12-19) من سورة الانعام فهو يقول : (فقد ارتدت البشرية الى عبادة العباد ، وإلى جور الأديان ، ونكصت عن لا اله الا الله ، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن "لا اله إلا الله" دون أن يدرك مدلولها ، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها ، ودون أن يرفض شرعية "الحاكمية" التي يدعيها العباد لأنفسهم ..... إلاّ أنّ البشرية عادت الى الجاهلية ، وارتدت عن لا اله الا الله ، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص العبودية ، ولم تعد توحد الله ، وتخلص له الولاء ..... البشرية بجملتها ، وبما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن من مشارق الارض ومغاربها كلمات لا اله الا الله ، بلا مدلول ولا دوافع ، وهؤلاء أثقل إثما وأشد عذابا يوم القيامة لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى ، ومن بعد أن كانوا في دين الله).

هذا الكلام اذا فهم على ظاهره فهو خطأ واضح لا يمكن أن يوافق عليه أحد من العلماء. لكننا نورد الى جانبه نصين آخرين من كلام الشهيد سيد قطب نفسه ، يتبين منهما ماذا قصد سيد من

كلامه :

النص الاول : في تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال : {والذين آمنوا و لم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينهم وبينكم ميثاق}. يقول سيد قطب: (فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ، ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولاية ، ولكن هناك رابطة العقيدة) فالسيد قطب لم يحكم على هؤلاء المسلمين بالردة مع أنهم يعيشون خارج المجتمع المسلم ، واحتفظ لهم بصحة العقيدة ، وذلك هو الموقف الصحيح لأن الله تعالى وصفهم بالايمان .

فقال: {والذين امنوا و لم يهاجروا} كما وصفهم بالدين فقال: {واذا استنصروكم في الدين ...}

النص الثاني: في تفسير قوله تعالى في سورة النساء: {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا...} يقول السيد رحمه الله: (يأمر الله المسلمين إذا خرجوا غزاة ، ألا يبدأوا بقتال أحد أو قتله حتى يتبينوا ، وأن يكتفوا بظاهر الإسلام في كلمة اللسان ، إذ لا دليل يناقض كلمة اللسان) فالسيد يكتفي هنا بظاهر الإسلام في كلمة اللسان ، ويعتبر الانسان بذلك مسلماً معصوم الدمّ ، ولو قلنا أنّ سيد قطب يعتبر المؤذن مرتداً بمعنى الكفر واستباحة الدم ، لكان هذا متناقضاً مع ما ورد في تفسير هذه الآية عند السيد قطب نفسه رحمه الله.

والفهم الصحيح المنسجم مع القواعد الشرعية ، والمنسجم مع الشهيد سيد قطب نفسه في نصوص كثيرة ، هو ما قال عنه أخوه الأستاذ محمد قطب حفظه الله قال: (إن كتابات سيد قطب تركزت حول موضوع معين ، هو بيان المعنى الحقيقي "للا اله إلا الله" شعوراً منه بأن كثيراً من الناس لا يدركون هذا المعنى على حقيقته ، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان كما وردت في الكتاب والسنة ، ولكنه مع ذلك حرص حرصا شديدا على أن يبين أن كلامه هذا ليس مقصودا به إصدار الأحكام على الناس ، إنما المقصود به تعريفهم بما غفلوا عنه من هذه الحقيقة ، ليتبينوا هم لأنفسهم إن كانوا مستقيمين على طريق الله كما ينبغي ، أم أنهم بعيدون عن هذا الطريق ،

فينبغي عليهم أن يعودوا اليه ، ولقد سمعته بنفسي يقول أكثر من مرة (نحن دعاة ولسنا قضاة) كما سمعته أكثر من مرة يقول: (إن الحكم على الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشك ، وهذا أمر ليس في أيدينا ، ولذلك فنحن لا نتعرض لقضية الحكم على الناس)

وبناء على ذلك نقول : ان الشهيد سيد قطب كان يتحدث عن ردة المجتمع عندما يرفض الاحتكام لشريعة الله ، وليس عن الردة الفردية التي يتحدث عنها الفقهاء ووضعوا لها شروطا وبينوا حكمها. والإشارة إلى المؤذنين إنما وردت لبيان أهمية كلمة لا اله الا الله وخطورتها ودعوتهم للالتزام بها قبل غيرهم ، وليس المراد منها الحكم بردتهم. وعلى كل حال ، فالعبارة خاطئة في اعتقادنا لأنها يمكن أن يساء فهمها. وإنما أردنا من هذه النّقول أن نؤكد أن سيد قطب رحمه الله لم يقصد هذا المعنى أصلا ، ولم نقصد الى تبرير مثل هذه العبارات. وثبوت الخطأ على شهيد عظيم كسيد قطب رحمه الله لا يطعن في دينه ، وإنما يؤكد بشريته ، ونحن نعتقد أن لا عصمة إلا لرسول الله (صلَى الله عليه وسلَم). (انتهى).[1]

إن مما يفعله بعض المغرضون الحاقدون – ويلبّسون به على المخلصين والغافلين – أنهم يأتون بطبعات قديمة لكتاب "العدالة الإسلامية" ويستخرجون ما فيها من أخطاء وهم يعلمون أن سيداً حذفها في الطبعات التالية ، والمدقق في كتب المدخلي وأتباعه يجد أنهم كلهم ينقلون ويقتبسون من "الطبعة الخامسة" من كتاب "العدالة الإجتماعية" مع علمهم بأن سيداً حذف وأضاف بعض الفقرات في الطبعة التي تليها كما بيّنا عند الكلام عن هذا الكتاب !! وكتاب "العدالة الإجتماعية" فيه معلومات مغلوطة ومواقف غير ثابة عن الصحابة رضي الله عنهم في وقت الفتنة ، والمدخلي في كتابه "أضواء إسلامية على عقيدة سيّد قطب وفكره" ذكر في المقدمة أن سيداً حذف هذه الفقرات من الطبعة السادسة ، ومع ذلك تجده أكثر ما ينقل من الطبعة الخامسة

[1] – مجلّة المجتمع الكويتيّة. العدد (271) في 21/10/1975م.

، فهل هذا هو منهج النقد الصحيح الذي أصّله في كتابه "منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف" ، أم أن هذا خاص بسيّد قطب رحمه الله !!

وللمدخلي كتب أخرى طعن فيها سيّد قطب رحمه الله ، منها :

1-الحد الفاصل بين الحق والباطل ، حوار مع الشيخ بكر أبي زيد في عقيدة سيد قطب وفكره .
2-مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
3-نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب
4-نظرة سيد قطب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
5-العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم
6-أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره[1]

وللمدخلي طريقة عجيبة في النقد : فهو يذكر الحوادث بين الصحابة التي ذكرها سيد في كتابه "العدالة الإجتماعية" (الطبعة الخامسة) ويعلّق على أكثرها تعليقات لا تمت لكلام سيّد بصلة ويُحمّل كلامه ما لا يحتمل ، وهو لا يذكر مصادر سيّد رحمه الله إلا إذا نقل سيد عن المسعودي وأمثاله ، هنا يطير المدخلي بها ويقول بأن سيداً ينقل عن "المسعودي الشيعي الحاقد" ثم يرمي سيّداً بالرّفض والطعن في الصحابة ، أما أكثر الحوادث فلا يذكر المدخلي مصدرها ، ولا يطعن في المصدر وإنما يطعن في سيّد رحمه الله ، والسبب في ذلك أن المدخلي يعلم أن سيداً نقلها عن

[1] – رأيت – بعد الإنتهاء من هذا البحث– كتاباً للشيخ "أبو بلال عبد القادر منير المَزْغَدي العَزَّابي" أسماه "الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي" فنّد فيها مطاعن المدخلي الموهومة في كتابه "أضواء" بأسلوب علمي جميل ، فلله درّه ، ورفع قدره ، وجزاه الله خيراً. والكتاب من طبع "طوب بريس" الرباط، سنة 2002م. ومن أراد معرفة حقيقة افتراءات المدخلي وأكاذيبه فعليه بهذا الكتاب. ولم أنقل من هذا الكتاب في هذا البحث حتى يبقى الكتاب مرجعاً مستقلاً لمن أراده. والحقيقة أنه ما كدّر صفو عيشي في هذه الفترة مع كتب سيّد غير اضطراري لقراءة بعض كتب المدخلي التافهة السخيفة وكتب بعض أفراخه التي ليس فيها إلا الكذب والزور والبهتان والحقد والحسد والشذوذ الفكري ، فأسأل الله أن لا يضطر مسلم لقراءة كتب هؤلاء المرضى نفسياً ..

الإمام أبي جعفر الطبري رحمه الله ، فلماذا لا يذكر المدخلي ذلك للخمسة – أو الستة – الذين يقرؤون مؤلفاته !!

الإعتذار لسيّد رحمه الله أنه ناقل عن إمام المؤرخين أبي جعفر الطبري رحمه الله ، ولا يخفى ما في تاريخ الطبري من روايات رافضية مدارها على أبي مخنف وأمثاله ، فسيّد رحمه الله نقل هذه الروايات ثم حكم على ملابسات تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة بنظرته النقدية التي لم تنضج شرعياً بعد : كونه كتب الكتاب في "الطور الثاني" الذي بيّنّاه من قبل[1] ، ولا شك أنه كان الأولى بسيّد أن يتعمّق في البحث قبل إبداء رأيه في مثل هذه الحوادث الإستثنائية ، ولعل العذر الذي ذكره الطبري في مقدمة كتابه هو نفس عذر سيد رحمه الله ، وكتاب الطبري هذا لم يقم أحد – في ما أعلم – بتخريج جميع آثاره ومروياته ، وإن كانت هناك بعض الدراسات الجامعية المتأخرة ، إلا أنها لا تفي بالغرض ، وسيّد إنما نقل عن إمام من أئمة المسلمين المعتبرين ، والإمام الطبري نقل بسنده عن الرواة ، فسيّد نقل عن مُسْنِد ، وما في كتاب الطبري لا يقارن أبداً بتعليقات سيد ، ففي تاريخ الطبري طوام وكلام منسوب للصحابة والتابعين لا يمكن أن يصدر منهم ، وكتابه هذا من أعظم الكتب التي يستشهد بها الرافضة على عقيدتهم الباطلة في الصحابة ، وبعض تعليقات سيّد في عمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهما منسوبة للصحابة : كعلي بن أبي طالب وغيره ، بل الكلام المنسوب لعلي رضي الله عنه أشد وأعظم مما ذكره سيّد رحمه الله ، وإن كان التحذير من كُتب سيّد لهذا السبب فإن شأن تاريخ الطبري أن يُحرق لما فيه من طوام ، وهناك كتب تاريخية وأدبية كثيرة متداولة فيها من الطوام ما لا يعلمه إلا الله ، فكيف غفل المدخلي ورفاقه عن كل هذا وأتوا إلى تعليقات منقولة لسيد – في كتبه الأولى – ليحكموا عليه بسب الصحابة والتنقص منهم !!

[1] – وذكر بعض الكلام عن الصحابة في كتاب "كُتب وشخصيات" ، وكلام سيّد في هذا الكتاب – بل أشد منه – منسوب للخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ..

أما الظِّلال : فإن القوم يأتون ببعض الجُمل المبهمة فيه من التي لم يراجعها سيد مراجعته الأخيرة ، وخاصة في الجزء الأخير منه ، ويتركون – عن علم – ما راجعه سيد في الأجزاء الثلاثة عشر الأولى[2] .. وكذلك يفعلون بكتب سيّد الأخرى ، فيأتون بجُمل من كتب سيّد الإسلامية الأولى ويتركون كتبه الأخيرة كالمعالم والخصائص وغيرها !!

وهذا سؤال من أحدهم وجهه للشيخ **عبد العزيز بن باز** رحمه الله يدل على هذا ، قال السائل : يا شيخ أنا طالب علم ، وأريد قولاً من سماحتكم في تفسير سيد قطب من ناحية العقيدة ، وخاصة **سورة الإخلاص، وسورة المجادلة، وآية قوله تعالى: "ما يكون من نجوى ثلاثة**.......\" ، إلى آخره..؟ [فانظر إلى النقل!!]

رأي الشيخ ابن باز رحمه الله في "الظلال" :-

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : ما قرأت **تفسير** سيد قطب ، بينما قرأت شيئاً منه .. **والتفسير عظيم ومفيد** ، ولكنه لا يخلو من أخطاء و من أغلاط ، ولكني لا أذكر الآن شيئاً يتعلق بما سألتَ عنه .. يحتاج إلى مراجعة .. فالسائل راجعني – إن شاء الله– بعد يومين أو ثلاثة حتى نفيدك (انتهى) ..

و في هذا الجواب إشارة إلى ما ذهبنا إليه من أن كتاب الظلال "تفسير" كما قال الشيخ ابن باز رحمه الله "مرّتين" في هذا الجواب القصير ، وفيه أمر غريب عجيب من الشيخ رحمه الله وغفر له : كيف يراجعه السائل بعد يومين أو ثلاثة ليجيب على مثل هذا السؤال الخطير !! هل كان باستطاعة الشيخ ابن باز رحمه الله قراءة الظلال ومعرفة عقيدة سيّد قطب في يومين أو ثلاثة !! لو

[2] – وهذا في الطبعة المعتمدة إلى ثلث الجزء الرابع ، أي إلى صفحة 2116 ..

كان قصد الشيخ الإكتفاء بقراءة الكلام المبهم في هذه المواضع فقط ثم الحكم على سيّد بالقول "بالحلول" الذي هو الكفر بعينه ، فهذا أمر خطير جداً ، أما إن كان يقصد سؤال من له علم ودراية بتراث سيّد و من ثَم الردّ على السائل ، فهذا أمر جيّد ، و هو الظن بالشيخ رحمه الله وطيّب ثراه ..

وهذا حوار للشيخ **ابن عثيمين** رحمه الله مع أحدهم في شأن سيّد قطب رحمه الله :

قواعد في النقد يضعها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :-

يسأل المستفتي : ما رأيكم في كتاب سيد قطب في ظلال القرآن مع العلم أن في هذا الكتاب عقيدة وحدة الوجود؟!

الشيخ ابن عثيمين : هذه دعوى "أن في الكتاب عقيدة وحدة الوجود" ، لأن هذا لو ثبت لكان من أعظم الكفر ، لكن نقول لهذا القائل المدعي هات البينة : هات البينة على ما قلت أن هذا الكتاب فيه القول بوحدة الوجود أو تقرير وحدة الوجود ، الكتاب على كل حال أنا لم أقرأه ، لكن قرأت بعض المؤاخذات عليه من بعض علمائنا الأفاضل ، وهو في بعض المباحث له مباحث جيدة حسب ما نسمع من بعض الإخوان ، وفي بعض الأشياء له أخطاء وقد قال ابن رجب -رحمه الله- وهو من علماء الحنابلة من تلاميذ ابن القيم ، قال في كتابه (القواعد الفقهية) "يأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه" هذا المنصف ، من يسلم من الخطأ؟! "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"[1] الرجّاعون إلى الحق ، فالكتاب فيه أخطاء ، وفيه صواب ، فنقبل الخطأ ونـــرد .. -يصحح الشيخ- فنقبل الصواب ونرد الخطأ.

يسأل المستفتي : غير واضح كلام السائل ، يبدوا أنه عن تفسيره سورة (قل هو الله أحد)

الشيخ ابن عثيمين : تفسيره سورة (قل هو الله أحد) أنا قلت أنا ما قرأت الكتاب ، لكن أعطنا

[1] - حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجة

إياه الآن ننظر ...

يقاطع المستفتي : بكلام غير واضح

الشيخ ابن عثيمين : هاه ؟! كيف ؟!

السائل : مستمر بالمقاطعة بكلام غير واضح...

الشيخ ابن عثيمين : على كل حال ما نقول شيء ، لا نقول شيئاً حتى نشهد بأعيننا لأن المسألة خطيرة جداً ، وأنا أقول لكم إذا صدر من عالم معروف بالنصح للأمة ، إذا صدر منه ما يوهم الحق وما يوهم الباطل ، فاحمله على أحسن الحملين...

يقاطل المستفتي : ..عقيدة يا شيخ !!...

الشيخ ابن عثيمين : عقيدة أو غير عقيدة !! ، إذا ما عُرف بالنصح للأمة ؛ وكلامه محتمل مهوب صريح [أي : ليس بصريح ، وهي كلمة عامية] ، احمله على أحسن المحملين ، اعتباراً بحال الرجل ؛ اعتباراً بحال الرجل. وأنا أقول لكم بالمناسبة : يوجد الآن أناس نسأل الله لنا ولهم الهداية ، يتتبعون السيئات من العلماء ؛ ثم يبرزونها ويسكتون عن الحسنات التي هي أضعاف أضعاف هذه السيئات...

يقاطع المستفتي : ... عقيدة يا شيخ!!!

يستمر الشيخ ابن عثيمين : هذا خطأ .. هذا خطأ ، العقيدة –بارك الله فيك– كغيرها ، من حيث أنه قد يقع فيها الخطأ ، ألم تعلم أن العلماء اختلفوا في أبدية النار؟!! هل هي أبدية.. هل هي مؤبدة أو غير مؤبدة؟! من السلف والخلف وهذه عقيدة أو غير عقيدة؟!! أسألك!! عقيدة واختلفوا فيها.

يستمر الشيخ ابن عثيمين : السراط الذي يوضع على جهنم هل هو سراط طريق؟! كغيره من الطرق؟! أو أدق من الشعره وأحد من السيف؟! فيه خلاف.

يقاطع المستفتي: !!!!

يستمر الشيخ ابن عثيمين : أسمع ، الذي يوزن يوم القيامة هل هو الأعمال أو صاحب العمل أو

صحائف الأعمال.

يقاطع السائل: بكلام غير واضح

يجيب الشيخ ابن عثيمين : أنا أحكي لكم الخلاف ، هل رأى الرسول ربه أم لم يره؟! هل تعاد الروح إلى البدن في القبر ويكون عذابها على البدن والروح أو على الروح وحدها؟! كل هذي مسائل عقيدة.

يسأل المستفتي: بكلام غير واضح.

يجيب الشيخ ابن عثيمين : طيب . أنا أريد أن اعطيكم قاعدة في مسألة نفي الإستواء وغيرها من الصفات. من نفى الصفات نفي إنكار فهو مكذب للقرآن ، ومن نفاها نفي تأويل ؛ فينظر في تأويله. يسأل الشيخ السائل : عرفت؟!

يعني مثلاً إذا قال قائل: إن الله لم يستوي على العرش!.

يسأل الشيخ ابن عثيمين: هذا نفي إيش؟!

إنكار أو تأويل؟!

يجيب المستفتي: إنكار .

الشيخ ابن عثيمين : إنكار ، هذا كافر لأنه كذب القرآن ، ومن قال إن الله استوى على العرش لكن استوى بمعنى استولى.

يسأل الشيخ: هذا نفي..؟!

يجيب أحدهم : تأويل.

الشيخ ابن عثيمين : تأويل ، فينظر هل يوجب تأويله هذا الكفر أو الفسوق أو يعذر فيه ، ينظر ، إي نعم.

(كلام غير واضح)

يسأل المستفتي : هل يجوز الترحم عليه؟! ... على سيد.

يجيب الشيخ ابن عثيمين : أقول : بالنسبة للتسرع في التبديع والتفسيق والتكفير .. حرام ... لا

يجوز ... كما أن التسرع في التحليل والتحريم حرام.
احذر أن تقول على الله ما لا تعلم ، فإن الله حرم ذلك {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}. والحكم بالتكفير ، تكفير الشخص ، يتعلق به أمران لا بد منهما :
الأمر الأول: أن نعرف أن الأدلة دلت على أن هذا الذي كفرناه من أجله كُفر ، وكم من أشياء يظن الإنسان أنها كفر وليست بكفر ، فلا بد أن نعلم أن الأدلة دلت على أن هذا الفعل أو هذا القول كفر. الشيء الثاني: أن نعلم أن هذا القائل لهذا المقالة أو الفاعل لهذا الفعل لا يُعذر بقوله ، ولا بفعله ، لأنه قد يقول الإنسان مقالة الكفر فيكون معذوراً إما بجهل أو تأويل أو حال طرأت عليه ، كغضب شديد أو فرح شديد أو ما أشبه ذلك ، ولاتكون الكلمة بحقه كفراً ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : لله أشد فرحاً .(انتهى)[1]

يتضح من الفتوتين السابقتين أن الشيخين : ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله لم يطّلعا على كتاب "الظلال" اطلاعاً يؤهلهما للحكم عليه ، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله نفى الإطلاع بالكليّة ، أما الشيخ ابن باز فاطلع على بعض منه ورأى أنه "تفسير عظيم ومفيد" ..

وأنقل هنا كلاماً للشيخ سلمان العودة يظهر به الفرق بين من قرأ كتب سيّد بتجرّد فحكم عليها ، وبين من لم يقرأها كالشيخين ، أو من قرأها بسوء نيّة وحُكم مسبق كالمدخلي وأتباعه الستة أو السبعة :

رأي الشيخ سلمان العودة في سيّد قطب رحمه الله :

[1] – تفريغ الأخ تركي الناصر turki_78@hotmial.com ... تجد هذا وفتوى الشيخ ابن باز والقعود وكلام للشيخ الألباني وغيرهم على موقع : http://www.islamgold.com

سيد قطب رحمه الله اختلف في منهجه الكثيرون ، فالبعض أسماه مكفِّرا والبعض الآخر أسماه مشبِّها والبعض الاخر أسموه متكلِّما ؛ والأدهى من ذلك والأَمَر أن البعض يكفره ويمزق كتبه ويكفرونه ويسمون كتابه (في ظَلال القرآن) الظَّلال بالفتح !! علما بأنه حمَل لواء الجهاد في سبيل الله بالكلمة الصادقة – كما نحسبه والله حسيبه – ومات وهو على كلمة الحق التي دعا إليها .

فما صحة ما يقوله المتقوّلون ؟

أما عن سيد قطب فقد قرأت معظم كتبه ، وإن شئت فقل : **كل كتبه** ، كما قرأت كثيراً مما كُتِبَ عنه ، ولعل أوفى كتاب في هذا الباب هو كتاب (سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد) للدكتور صلاح الخالدي ، وللدكتور عناية خاصة بالأستاذ سيد ، وآخر مؤلفاته حوله رسالة كبيرة نشرت ضمن سلسلة أعلام المسلمين[1] .

والملحوظ أن الناس في سيد ، وفي غيره ، يكون فيهم المتوسط المعتدل الذي ينظر بعين الإنصاف والتجرد والتحري ، ويكون فيهم المتطرف الذي يقع في التعصب والهوى ؛ وسيان أن يكون التعصب ضد الشخص مما يحمل على رد الحق الذي معه وتصيد الأخطاء عليه وتفسير كلامه على أسوأ الوجوه **وعدم الاعتبار بالمتقدم والمتأخر** من كلامه ... أو أن يكون التعصب له مما يحمل على أخذ أقواله بدون تحفظ ، والغفلة عن أخطائه وعثراته ، والدفاع عنه بغير بصيرة ، بل : وربما اعتقاد العصمة في المتبوع بلسان الحال ، أو بلسان المقال .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود : (الكبر بطر الحق وغمط الناس) .

---

[1] – اسم الكتاب : سيد قطب الأديب الناقد ، والداعية المجاهد ، والمفكّر المفسّر الرائد. وهو من منشورات دار القلم بدمشق (طبعة أولى سنة 1421هـ)

والذي يخاف الله يتورع عن أعراض عامة المسلمين ، فضلاً عن خاصتهم من أهل العلم ، والدعوة والجهاد والدين .

والذي أدين الله به أن الأستاذ سيد قطب **من أئمة الهدى والدين ومن دعاة الإصلاح ، ومن رواد الفكر الإسلامي** ... سخّر فكره وقلمه في الدفاع عن الإسلام ، وشرح معانيه ، ورد شبهات أعدائه ، وتقرير عقائده وأحكامه ، على وجه قلّ من يباريه أو يجاريه في هذا الزمان .
وكان حديثه حديث المعايش الذي لابس همّ الإسلام قلبه ، وملك عليه نفسه ، قد شغله الحزن على الإسلام ، والغضب له ، حتى عن ذاته وهمومه الخاصة .

وكتابه الظلال يعتبر إضافة كبيرة لدراسة **التفسير** ، واستطاع فيه أن يستوعب كثيراً مما كتبه المتقدمون ، وأن يبنى عليه رؤيته الخاصة المتميزة ، وفهمه الثاقب ، ودرسه الغزير ، وأن يقرن آي الكتاب بحياة الناس المعاصرة حتى يشعر قارئه أن القرآن ليس كتاباً نزل لبيئة خاصة في المكان والزمان ، ولكنه هداية للناس أجمعين ، أياً كان زمانهم أو مكانهم .
ولقد استفاد الأستاذ سيد من **تفسير ابن كثير** فائدة غنية ، ونقل عنه ، وربما اعتمد عليه خصوصاً في باب المرويات والأقاويل ، بل وفي أوجه الاختيار والترجيح .
كما انتفع بما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا في المنار فيما يتعلق بربط هداية القرآن بنتائج العلم والبحث الإنساني والاجتماعي والعمراني ، وفيما يتعلق بالتجرد عن التعصب والتقليد .

ولكن يبقى الظلال شيئاً آخر ، غير هذا وذاك .

نعم ؛ ليس الكتاب تفسيراً لآيات الأحكام ، ولهذا فهو لا يغني عن مثل كتاب القرطبي أو ابن العربي أو الجصاص أو غيرهم ، خصوصاً للمهتمين بمعرفة المذاهب الفقهية والترجيح بينها ، وليس تقريراً مفصلاً أو تعليمياً لكليات العقيدة وجزئياتها ، فهو لا يغني عن قراءة ما كتبه الإمام

الفذ ابن تيمية ، أو تلميذه العَلَمْ ابن القيم ، في تقرير العقيدة ، والذب عنها ، ومناظرة خصومها .

بل ووقع في الظلال عثرات في هذا الباب و في غيره ، ولكنها يسيرة إلى جنب ما فيه من الخير والعلم والإيمان .

ومن ذلك – تمثيلاً – اضطرابه في باب الاستواء كما يعرفه من راجع تفسير هذه الآية في مواضعها السبعة المعروفة ، ووقع منه في بعضها أن الاستواء كناية عن السيطرة والاستعلاء ، وهذا خطأ ، والصواب أن الا ستواء ، كما قال مالك : معلوم ، من حيث المعنى ، مجهول ، أو غير معقول ، من حيث الكيفية ، وقد ذكر الأئمة في معناه : العلو ، والاستقرار ، والارتفاع ، والصعود ، والله أعلم.

ومن ذلك أنه يسمى توحيد الألوهية – الذي هو توحيد العبادة – باسم توحيد الربوبية ، ويسمي توحيد الربوبية باسم توحيد الألوهية ، وهذا خطأ في اللفظ ، لكنه رحمه الله كان شديد الوضوح في إدراك هذه المعاني والحقائق وتقريرها .

و من ذلك أ نه كتب فصولاً مو سعة في موضوع الدعوة ومنهجها ، والمو قف من المجتمعات المعاصرة ، وكتب ذلك بعاطفة مشبوبة ولغة قوية وغيرةٍ على الدين وعلى المسلمين **حملها بعض قارئيه ما لا تحتمل** من المعاني واللوازم ، وتعاملوا معها على أنها نصوص تقرأ بحروفها وألفاظها ، وتحفظ وتتلى ويستشهد بها في مواطن النزاع ، ومضايق الجدل والمناظرة والخصام .

وبنى بعض هؤلاء على هذه القراءة الحرفية الضيقة تكفير الناس كافة ، أو التوقف بشأنهم أو الهجرة من ديارهم ... إلى أين ؟ لا أدري !

وبنى آخرون عليها فكرة الانفصال عن المجتمعات وترك العمل فيها واعتزالها ، وفُهمت كلمة سيد – رحمه الله – عن (العزلة الشعورية) بتكثيف قوي ، وترميز شديد ، جعلها بؤرة العمل والانطلاق .

والحق أن القراءة الحرفية الظاهرية لتراث كاتب ما ، ليست أمراً خاصاً وقع مع سيد قطب رحمه الله وحده ، لكنها مشكلة تراثية يعاد إنتاجها الآن مع عدد كبير من رموز العلم والفقه والدعوة والاجتهاد ، من المتقدمين والمعاصرين.

ولقد يكتب العالم بحثاً ، أو يقدم اجتهاداً ، أو ينتحل رأياً في مسألة ، وينتصر له بحسب ما توفر لديه آنذاك ، فيأتي الخالفون فيقرؤون نصه بقدسية تأسر عقولهم ، وتجعل همهم مقصوراً على إدراك النص وفهمه ، ثم تقريره وتوسيع دائرته ، ثم الاستشهاد له ومدافعة خصومه .

ولذلك يدري كل أحد ، أن الأئمة ، أصحاب المذاهب الفقهية وغير الفقهية لم يكونوا يشعرون أهم يؤسسون مذهباً ، ويقيمون بناءً خاصاً راسخ القواعد ، مكتمل الأركان ، حتى جاء من بعدهم فأصّل وفصّل ، وجمع النظير إلى النظير ، وتعامل مع كلام الأئمة بحرفية بالغة ، بل عدّ بعضهم كلام الإمام ككلام الشارع ، من جهة المنطوق والمفهوم ، واللازم ، والقياس عليه ، والناسخ والمنسوخ ، والظاهر والنص .... الخ . هذا مع شدة نهي العلماء عن التقليد ، حتى إن منهم من كان ينهى عن تدوين آرائه الفقهية ، ويحذر من تناقلها .

وكلما كان العالم أوسع انتشاراً ، وأكثر أتباعاً ، وأوغل في الرمزية – لأي سبب – كان الأمر بالنسبة له أشد ، وكانت المشكلة أظهر ، لكنها تخف تدريجياً بتقدم الزمن ، ولو من بعض الوجوه . هذه ليست مشكلة العالم أو المفكر ، بقدر ما هي **مشكلة القارئ أو المتلقي** ؛ وأياً ما كانت فهي مما يحتاج إلى بحثٍ ودراسة .

وقديماً كان علي رضي الله عنه يقول قولته المشهورة : يهلك فيّ رجلان : غالٍ وجاف .

والخلاصة : أن سيد قطب وغيره من أهل العلم يؤخذ من قولهم ويترك ، ويصيبون ويخطئون ، ويردون ويرد عليهم ، وهم إن شاء الله بين أجر وأجرين ، ولئن حرموا أجر المصيب في عشر مسائل ، أو مائة مسألة فلعلهم – بإذن الله – ألا يحرموا أجر المجتهد .

ومن أفضل ما كتبه سيد قطب كتاب (خصائص التصور الإسلامي ، والذي ظهر جزؤه الأول في حياته ، وأخرج أخوه الأستاذ محمد قطب حفظه الله جزءه الثاني بعد وفاته . وهو كتاب عظيم القدر في تقرير جملة من أصول الاعتقاد ، معتمداً على نصوص الكتاب الكريم بالمقام الأول ، مؤيداً لها بحجج العقل الظاهرة ، راداً على مقالات المخالفين والمنحرفين . وفيه رد صريح ومباشر على أصحاب مدرسة وحدة الوجود ، والحلولية ، وأضرابهم ، وحديث واضح عن الفروق العظيمة بين الخالق والمخلوق ، وبيان أن هذا من أعظم خصائص عقيدة التوحيد ، كما بينها الإسلام . فلا مجال مع هذا لأنه يحمل أحد الفيض الأدبي الذي سطره سيد في تفسير سورة الإخلاص على تلك المعاني المرذولة ، التي كان هو رحمه الله من أبلغ من رد عليها ، وفند شبهاتها .

وأذكر من باب الإنصاف أن أخانا الشيخ عبدالله بن محمد الدويش رحمه الله تعالى لما أشار عليه بعضهم بتعقب الظلال ، واستخراج ما وقع فيه ، فكتب مسوّدة كتابه (المورد العذب الزلال) ورد على ذلك الموضع في سورة الإخلاص ، فبلغني أنه فهم منه تقرير مذهب وحدة الوجود ، فبعثت إليه مع بعض جيرانه بالموضوع المتعلق بذلك من كتاب الخصائص والذي هو بيان جلي للمسألة لا لبس فيه ، فكان من إنصافه رحمه الله ، أن أثبت ذلك في كتابه ، ونقل عن الخصائص ما يرفع اللبس .

علماً أن الحري بالباحث إجمالاً أن يفهم كلام الشيخ أو العالم بحسب ما تقتضيه نصوصه الأخرى فيرد بعضها إلى بعض ، ويفسر بعضها ببعض ، ولا يتمسّك بكلمة يضع لها أقواساً ، ثم يعقد لها محكمة ! وقد يخطىء المرء في اللفظ وهو يريد معنى صحيحاً ، كما وقع للذي قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربّك ، يريد : أنت ربي وأنا عبدك ، وما كفر بذلك ولا أثم بل لعله كان مأجوراً مثاباً .

و من المعلوم المستفيض أن سيداً رحمه الله مرّ في فكره وحياته بمراحل مختلفة ، وكتب في أول حياته مجموعة كتب أدبية مثل : كتب وشخصيات ، مهمة الشاعر في الحياة ، طفل من القرية ومجموعة من الدواوين الشعرية . وكتب مجموعة من الكتب الإسلامية مثل : التصوير الفني في القرآن ، مشاهد القيامة في القرآن ، العدالة الاجتماعية في الإسلام .

ثم في مرحلة النضج كتب الخصائص ، المعالم ، الظلال ، هذا الدين ، المستقبل لهذا الدين ، الإسلام ومشكلات الحضارة ... وربما كتباً أخرى نسيتها .

ومع ذلك كان يتعاهد كتبه بالتصحيح والمراجعة والتعديل – كما هو ظاهر في الظلال خاصة – حيث كان يعمل فيه قلمه بين طبعة وأخرى ، وهذا دأب المخلصين المتجردين .

وليعلم الأخ الكريم الناصح لنفسه أن الوقيعة في آحاد الناس ، فضلاً عن خاصتهم ، من أهل العلم والإصلاح والدعوة من شر ما يحتقب المرء لنفسه ، ولا يغتر المرء بمن يفعل ذلك ، كائناً من كان ؛ لأن الحساب في القيامة بالمفرد لا بالقائمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

سلمان بن فهد العودة

22/6/1421 هـ

وهذا رأي الشيخ محمد حسان في سيّد قطب رحمه الله :

"فنسأل الله –عز وجل– أن يجعل الشيخ سيد قطب – رحمه الله– عنده من الشهداء فهو الرجل الذي قدّم دمه وفكره وعقله لدين الله – عز وجل– نسأل الله أن يتجاوز عنه بمنه وكرمه، وأن

يغفر لنا وله وأن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال، وأنا أُشهد الله أني أحب هذا الرجل في الله مع علمي يقيناً أن له أخطاء وأنا أقول: لو عاملتم – يا شباب – شيوخ أهل الأرض بما تريدون أن تعاملوا به **الشيخ سيد قطب** فلن تجدوا لكم شيخاً على ظهر الأرض لتتلقوا العلم على يديه لأن زمن العصمة قد انتهى بموت المعصوم محمد بن عبدالله و كل كتاب بعد القرآن معرض للخلل {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا}.
لذا فأنا أحب هذا الرجل مع علمي ببعض أخطائه ، وأقول : ومَن مِن البشر لم يخطئ؟ (فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) وأذكر يوم أن كنت أدرس لطلاب كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم ويوماً استشهدت بفقرة **للشيخ سيد قطب** –رحمه الله– فردّ عليّ طالب من طلابنا فقال : يا شيخ قلت : نعم ، قال : أراك تكثر الا ستشهاد بأقوال سيد قطب. قلت : وهل تنقم عليّ في ذلك؟ قال : نعم ، قلت : ولم؟ قال: لأنه كان فاسقاً. قلت : ولم؟ قال : لقد كان حليقاً ، فقلت : يا أخي إن الإسلام في حاجة إلى شعور حي لا إلى شعر بغير شعور ، مع أنني ما كنت ولن أكون أبداً ممن يقللون من قدر اللحية بل أنا الذي أقول إن إعفاء اللحية واجب لأن الأمر في السنة للوجوب ما لم تأت قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب ((اعفوا اللحى)) ((وفروا)) ((ارخوا)) الأمر للوجوب إذا لم تأت قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب لكن أقول : لا ينبغي أن نزن بهذه القسمة الضيزى رجل!! وأسعد قلبي سعادة غامرة أخ حبيب من أخواني الدعاة الكبار ، وقال لي : بأن عنده صورة **للشيخ سيد قطب** وهو بلحية كثة ولكنه حلق مع هذا البلاء الذي صبّ على رأسه في السجن والمعتقل .. فلا ينبغي على الاطلاق أن نزن الناس والمناهج بهذا الظلم، رجل زلّ أخطأ في الظلال أو في بعض كتبه لا ننكر ذلك لكن لا ينبغي الإطلاق ، أن ننسف جهد الرجل وأن نتهمه والعياذ بالله بالضلال يعني ... لن أسمي كتاباً الآن لكن هناك كتب تزيد عن المائتين صفحة تنقد سيد قطب وهذا أمر عادي جدا ما فيش فيه أي حرج ، لكن الكاتب لم يترحم على سيد قطب مرة واحدة ثم قال بالحرف: "سيد قطب ضال مضل" !! هذا ظلم ظلم ظلم بشع ، وبعدين كاد قلبي يخرج

من صدري وأنا أقرأ في الفهارس لهذا الكتاب عنواناً جانبياً في الفهرس يقول: (سيد قطب – يعني عنوان خطير جدا جدا– سيد قطب يدعو إلى شرك الحاكمية!!) قلت: دا الرجل ما ماتش إلا عشان القضية دي ! دا لم يعدم سيد قطب إلا من أجل قضية الحاكمية فهذا ظلم – يعني مجرد العنوان نفسه ظلم ، قمة في الظلم ، رجل زل في مبحث الأسماء والصفات ، آه نعم زل ، زل سيد قطب في مبحث الأسماء والصفات وزل غيره من أئمتنا الكبار : النووي –رحمه الله– الحافظ ابن حجر –رحمه الله– الزركشي قصدي ابن الأثير زل في مبحث الأسماء والصفات ، نكفّر ونضلّل ونفسّق ونبدّع ، هذا منهج منحرف ... (إلى آخر كلامه حفظه الله) ..

وهذا رأي يُروى عن الشيخ عبد الرحمن الدوسري في سيّد قطب رحمه الله :

يروى أن أحد من كان يسمع محاضرة للشيخ عبد الرحمن الدوسري – رحمه الله — قام واعترض على الشيخ لاستشهاده بكلام سيد قطب ، مع أنه حليق لا لحية له!! فأجاب الشيخ عبد الرحمن رحمه الله "إذا كان الشهيد سيد قطب بلا شعر في لحيته ، فهو صاحب إحساس وشعور ، وإيمان ويقين ، وعزة وكرامة ، وغيرة على الإسلام والمسلمين ، قدَّم روحه فداءً لدينه ، واستشهد في سبيل الله طلباً لمرضاته ، وطمعاً في جنته ، وقال قولته المشهورة حين ساوموه ليرجع عن موقفه: "لماذا أسترحم؟ إن سُجِنتُ بحقٍ، فأنا أرضى حُكم الحق ، وإن سُجِنتُ بباطل ، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل ، إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يقر فيه حكم طاغية" ، هذا هو سيد قطب ، فأين أصحاب الشَعْر بلا شعور من مواقف الرجال" (انتهى) ..

هناك مطاعن غير مباشرة طُعن بها سيّد رحمه الله ، منها : أن من يقرأ له يستعلي على الناس ويظن أنه أفضل منهم وأن غيره دونه !! ولا أدري كيف يكون هذا مطعناً في سيّد رحمه الله !! إن سيداً رحمه الله تكلم عن الاستعلاء الإيماني وركّز على هذه الحقيقة تركيزاً كبيراً ،

ولكنه لم يقصد به استعلاء المسلم على المسلم ، وإنما كان يقصد به إستعلاء المسلم على كل ما هو غير إسلامي ، وهذا حق غائب عن واقع المسلمين ، فكثير من المسلمين مهزوم نفسياً أمام الكفار ، والإسلام لا يرضى بهذه الإنهزامية النفسية ، والله سبحانه وتعالى قال في كتابه {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران : 139) ، وقال تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...} (آل عمران : 110) ، وآيات أخرى كثيرة تبين أفضلية هذه الأمة وعلوّها على سائر الأمم بالإيمان بالله ، وهذا ما أراد أن يزرعه سيّد في قلوب المسلمين ، ولكن بعض الجهال فهم هذا فهماً خاطئاً ووضع هذه الحقيقة الشرعية في غير موضعها واستعلى على غيره من المسلمين ، وهذا ليس ما دعى إليه سيد رحمه الله ، وهذا لا يضر سيداً ، فهو ليس مسؤولاً عن جهل من يقرأ له ، وهذا المقياس الذي قاس به هؤلاء غريب جداً ، ولا يمكن أن يكون مقياساً صحيحاً أبداً ، فهذا القرآن كلام الله الذي هو أفصح وأبين الكلام على الإطلاق : اختلف كثير من الناس فيه ، وحملوا كثير من آياته على غير محملها ، أفنطعن في القرآن لأن بعض الجهال لم يفهموا بعض آياته !! إذا كان هذا حصل مع القرآن الذي هو أعظم معجزة في الأرض ، فكيف بكلام بشر غير معصوم !!

ثم لماذا لا يكون للميزان كفتين !! نحن لو سافرنا إلى دول شرق آسيا أو إلى أوروبا لرأينا الكثير من النجديين في الحانات يشربون الخمر ويأتون المنكرات ، ولو سألت أحدهم عن عقيدته لقال بأنه درس كتاب التوحيد في المدارس ، أو أنه على عقيدة السلف ، وهو محق في هذا ، فهو يعتقد بأنواع التوحيد ولا يشرك بالله ولا يدعوا قبراً أو يستغيث بميت ويعتقد كفر من فعل ذلك ، ولكنه لا يطبّق كل ما دعى إليه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وليس هذا وأمثاله نماذج لأتباع الإمام المجدد ، فإذا كان كذلك ، فلماذا لا نزن بنفس الميزان !!

بين سيّد قطب ومحمد بن عبد الوهّاب :

هناك فوارق كبيرة بين دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي وبين كتابات الإمام سيد قطب رحمهما الله ، ويصعب مع وجود هذه الفوارق عقد مقارنة موضوعية ، فكلاهما عاش في بيئة مختلفة : فالإمام محمد – رحمه الله – عاش في بيئة بدويّة جاهلة أمّيّة يغلب عليها السذاجة وتشتد فيها العصبية القبلية مع انتشار البدع الظاهرة وغلبة الشرك بأنواعه ، ولكن الذي ميّز تلك البيئة أنها كانت حرّة أبيّة لم تستسغ الخضوع للبشر و لم يأسرها قوانين وأعراف الحضر ، وهذه الحالة شبيهة بحالهم يوم بُعث النبي صلى الله عليه و سلم ، إلا أنهم مع هذا كله كان كثير منهم يعتز بإنتماءه الإسلامي على مفهومه له ..

أما سيّد رحمه الله : فقد كان في حاضرة العالم الإسلامي ، وفي وقت الإحتلال الأجنبي لبلاده ، وكان مَن حوله على مستوى عالٍ من الثقافة ، ولكن المدنية والحياة الحضرية أثّرت في الناس وأفقدتهم بعض الإحساس بالحريّة والإباء ، يقل هذا ويكثر حسب البيئة التي تربى فيها الأفراد[1] ، وكان الإنحلال الخلقي على أوجه ، والحرب الفكرية وكيد ومكر النصارى واليهود أشد ما يكون ..

لمّا أراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعلّم العلم الشرعي احتاج للسفر إلى البصرة للقاء علمائها هناك بعد أن سافر إلى مكة والمدينة[2] ، وذلك لعدم وجود مراكز تعليمية في نجد في وقته ، فتلقى العلم على العلماء في هذه الأقطار ثم رجع ينشره بين الناس متأثّراً بفكر ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيّم رحمهما الله ، وكان جل تركيزه على مشاكل بيئته ، فركّز على العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع المنتشرة (خاصة : بدع القبور) ، وكان هذا ما يحتاجه الناس في وقته وفي بيئته أكثر من أي شيء آخر ، فألّف المؤلفات وكتب الرسائل وخرج بنفسه يدعوا الناس ، واستعان بأمير الدرعية محمد بن سعود – رحمه الله – لقتال الناس وإلزامهم بالرجوع للحق حتى

[1] – فأهل الصعيد أعز – في الغالب – من أهل المدن الكبرى، وسيّد – كما مر بنا – من الصعيد ، وكذلك الكثير من المفكرين والأدباء والسياسيين في مصر.

[2] – وما قاله بعضهم من أنه سافر إلى "قم" الإيرانية وتلقى العلم على علماءها ، أو أنه تلقى العلم في النجف فلا أساس له من الصحة .

كانت هذه الدعوة الطيبة المباركة التي بقيت في حيّز نجد لفترة طويلة ، ثم انتشرت بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل وجود هذه الدعوة في أرض الجزيرة التي فيها الحرمين ، فكان الحجاج يأتون من كل مكان ويسمعون ويتأثرون بالدعوة التي ساندتها الحكومات السعودية المتعاقبة لأغراض مختلفة[1] ..

أما الإمام سيّد قطب رحمه الله فقد كان الأمر معه يختلف : فمصر كانت محتلة من قبل الإنجليز ، ثم جاءت الشيوعية ، ثم ثورة الضباط ، وكان قبل هذا سقوط الخلافة وإلغاء التحاكم للشريعة الإسلامية ، والإنحلال الخلقي على أوجه ، وما يسمى بالعلمانية ، والتأثر بالغرب الكافر والإعجاب به ، وكانت هناك مؤامرات دولية تحاك لمصر وللإسلام ، فما كان من سيّد رحمه الله إلّا أن ركّز على جوانب رأى أن الأولى له الإشتغال بها ، فحارب النظريات الشرقية والغربية ، ودعا الناس إلى الرجوع للشريعة الإسلامية وبيّن لهم أنها أفضل من تفاهات الشرق وسخافات الغرب ، ثم قاده فكره في النهاية إلى العودة بالناس لحقيقة مفهوم كلمة التوحيد والتركيز على ذلك ، حيث رأى أن سبب نكبات الأمة هو عدم فهم المسلمين لحقيقة "لا إله إلا الله" ..

الفرق بين سيّد قطب ومحمد بن عبد الوهّاب يكمن في أن : الإمام محمد بدأ بدراسة العلوم الشرعية ، والشيخ سيّد اتجه في بدايته للأدب والعلوم العصرية والسياسة ، ثم التقى مع الشيخ محمد في تعلم العلوم الشرعية بجهد كبير وعلى كِبَر ، والإمام سّيد – رحمه الله – درس الأفكار

---

[1] – جميع مصادر التأريخ المحايدة لا تشكك في إخلاص أمراء الدرعية الأوَل للدعوة في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن يجب أن نعلم بأن تلك الدعوة النقية لم تكن في يوم من الأيام ملهمة لعبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية الحديثة ، فهذا الرجل أتى من الكويت واحتل الرياض بدافع سياسي قبلي ، ثم استغل كل من يستطيع استغلاله للوصول لمآربه ، حتى إذا تم له ما أراد شرع في قتل كثير من أتباعه وقادته الذين صدّقوا بعض دعاواه "الإسلامية" ، وكان الرجل يراسل البريطانيين والعثمانيين في آن واحد ، ويأخذ مساعدات بريطانية مالية ومعلوماتية ، ثم شرع في مراسلة الأمريكان لما أفل نجم البريطانيين ، والرجل كان ذكيّاً داهية إلا أنه لم يكن مخلصاً لقضية غير رغبته في الحكم ، وقد استغل وجود بقايا دعوة الشيخ محمد واستغل اسم وتاريخ اسرته استغلالاً كبيرا ليصل إلى مآربه .. ولعل أفضل من كتب في تأريخ عبد العزيز بن سعود هو المؤلف البريطاني "روبرت ليسي" في كتابه "المملكة" = "The Kingdom" ..

الشرقية والغربية وتصدى فكرياً لمخططات أعداء الأمة من الإنجليز والفرنسيين والأمريكان وغيرهم ، بينما الشيخ محمد اتجه لمجاهدة الصوفية القبورية والرافضة المبتدعة الذين كانوا في بيئته ، وهذا هو الغالب ..

كلاهما ركّز على ما وجد في محيطه من أخطار تُحدق بالأمة ، وكلاهما وجد من يحاربه في محيطه ومن الخارج ، ولكن الإمام محمد سخّر الله له بعض الأمراء ليحملوا الدعوة ويقوموا بسيوفهم لنشرها ، والإمام سيّد رحمه الله حمل عبء الدعوة بمفرده وواجه ما واجه بمفرده ، ولم تنتشر دعوته إلا بعد أن شُنق رحمه الله ، والغريب أن دعوته انتشرت في وقت قصير وبسرعة عجيبة وعلى مستوى عالمي رغم محاربة الحكومات العربية والأجنبية لها بعكس دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب التي ظلت حبيسة نجد لفترة طويلة !!

ومن العجيب أن ترى أناس يُستنكرون المقارنة بين الرجلين !! وهذا يحدث غالباً من الغالين في الطرفين !! ويدعي هؤلاء الغلاة أن الدعوتين متناقضتين لا يصح المقارنة بينهما !! وهذا جهل كبير منهم : إما بالدعوتين، أو كلٌّ بالدعوة الأخرى ، فكلى الإمامين دعا إلى إقامة حكم إسلامي صحيح ، وكلاهما دعا إلى إقامة ذلك بالسيف ، وكلاهما أراد إحداث تغيير جذري في معتقدات الناس المخالفة للحق ، وكلاهما دعا للثورة على الواقع ، والشيخ محمد بن عبد الوهّاب قاتل بالسيف ، وخرج على ولاة الأمر بالسيف ، ودعا الناس إلى ذلك ، بل خرج على الخلافة الإسلامية الرسمية وعلى خليفة المسلمين العثماني مما اضطر هذا الأخير لإصدار أوامره لوالي مصر

بالقضاء على الدعوة[1] ، أما الإمام سيّد فقد حارب بقلمه وكلمته وحرّض على الجهاد في سبيل الله ..

إن المرء ليعجب وهو يسمع هذا التراشق بين الغلاة في الدعوتين !! فهذا يقول قطبي ، وذاك يقول وهّابي ، وكلاهما لا يرضى لنفسه هذه الألقاب !! هذا يقول أنتم لا تفهمون الواقع ، وذاك يقول أنتم لا تفهمون العقيدة !! و كل منهما يرمي الطرف الآخر بتكفير المسلمين : فهذا يقول أنتم تكفرون من يدعو عند القبور والأضرحة دون تفصيل ، وذاك يقول أنتم تكفرون من لا يحكم بما أنزل الله دون تفصيل !! و سبب هذا الخلاف : إما الجهل بحقيقة ما عند الآخر ، أو التعصّب والهوى ، وكثيراً ما يكون السبب : الأمرين معا ..

دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب : دعوة تصحيحية تجديدية قامت بالحجة ثم بالجهاد والقتال ، وهذه الدعوة تدعو الناس للرجوع إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من عقيدة ، ونبذ ما يخالفها من بدع وأمور محدثة في الدين . أما ما يقوله البعض من أنها دعوة متشددة شديدة على المخالفين ، فهذا ليس بسبب الدعوة نفسها وإنما بسبب أهلها ، فأهل نجد أصولهم بدوية ، والتعصّب فيهم فطري ، والشدة سمة من سماتهم الجبلّيّة ، وكذلك العناد والأنفة ، والكبر والخيلاء الذي يكون في أهل الإبل[2] ، ولا دخل للدعوة بهذا كله ، فالدعوة نقية صافية ،

---

[1] 1- وكان أئمة الدعوة يعلنون كفر الدولة العثمانية ، فهذا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله تعالى (ت 1339 هـ): لما سئل عن من لم يكفر الدولة – أي العثمانية – ومن جرهم على المسلمين واختار ولايتهم وأنه يلزمه الجهاد معهم ، والآخر لا يرى ذلك كله بل الدولة ومن جرهم بغاة ولا يحل منهم إلا ما يحل من البغاة وإن ما يغنم منهم من الأعراب حرام، فأجاب: "من لم يعرف كفر الدولة ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين لم يعرف معنى لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أن الدولة مسلمون فهو أشد وأعظم وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله وأشرك به، ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة.."أ. هـ (الدرر السنية : 8/242) .. ومثل هذا كثير في كتاب الدرر وفي كتب الولاء والبراء لأئمة الدعوة .

[2] – جاء في البخاري من حديث ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم" .

والله سخّر لها هذه الطبائع في أصحابها لتبقى وتنتشر في بيئتها ، فالدعوات لا بد لها من تعصّب منضبط منقاد بحكمة ، وهم فوق ذلك حنابلة ، والحنابلة اشتهروا بالشدة على المخالفين من قديم ، حتى أن الناس في الشام إلى اليوم يسمون المتشدد "حنبلي" وإن لم يكن حنبلي المذهب ..
أما أهل مصر فليست فيهم هذه الطباع ، فهم من أسهل وأبسط الناس ، ويميلون إلى الإنبساط واللين ويكرهون الشدة والغلظة في المعاملة ، ولذلك يرميهم غلاة الطرف الآخر بالليونة والميوعة مع المخالفين !! وهذه سمات غالبة ، وهناك استثناءات كثيرة تظهر بين أفراد الطرفين ، و من هؤلاء الإمامين: فالإمام محمد كان سهلاً هيّناً ليّناً بعيداً عن غلظة وجفاء الأعراب ، والإمام سيّد كان عنيداً ذو أنفة شديداً متعصّبا لما يعلم أنه الحق ..

إنك لو أخذت كتاب "خصائص التصور الإسلامي" ، وهو كتاب في العقيدة ، وأعطيته الناس في بيئة الإمام محمد لقال لك المثقفون بأن هذا من الترف الفكري أو من الطلاسم ، فأهل نجد اعتادوا على الكلام المباشر المؤدي إلى الغاية دون تكلّف ، ولو أخذت كتاب "التوحيد" إلى بيئة الإمام سيّد وفي وقته لقال لك المثقفون بأن هذا كتاب قص ولصق يستطيعه صغار الطلبة وليس فيه إبداع ولا تجديد ، وذلك أن أهل مصر اعتادوا تنميق الكلام وزخرفته واستحداث الجديد منه ، وهذا من الإختلاف في الأذواق والأعراف[1] ..

الحقيقة أنه لا تناقض ولا اختلاف بين الدعوتين من حيث الأصل ، وكل ما يُرى من خلاف إنما هو خلاف تنوّع لا تضاد :
فهذا يدعوا لنبذ البدع القبورية والإعتقادات الرافضية ، وذاك يدعوا إلى نبذ الأفكار الشرقية والمعتقدات الغربية اللادينية ..

[1] – تكمن عبقرية الإمام محمد بن عبد الوهاب في اختيار الآيات والأحاديث بدقة كبيرة ، ثم ترتيبها ترتيبا يدل على فقه وعلم غزيرين ، ثم التعليقات الدقيقة التي أوردها هذا الكتاب حتى شبهه بعض العلماء بكتاب الصحيح للبخاري لدقة اختياره للعناوين وحسن ترتيب النصوص وتسلسلها الجميل ، وهو حري بهذا التشبيه لما فيه من علم وفقه .

وكلاهما يدعوا إلى تطبيق الشريعة في البلاد الإسلامية : هذا بالتحريض والعمل التنظيمي المؤدي للجهاد وذاك بالإستعانة بالأمراء والقتال العلني والجهاد ..

وكلاهما دعا للخروج على الحاكم : هذا على ولاة خليفة المسلمين العثماني ، وذاك على الملك فاروق العميل الإنجليزي ..

وكلاهما جددا نواحي من الشريعة : فهذا جدد عقيدة المسلمين ، وذاك جدد مفهوم الإعتزاز بالدين ..

وهناك أمر لا ينبغي للعاقل أن يغفل عنه ، وهو : أن الإمام محمد بن عبد الوهّاب حمل السيف فعلاً ، وقاتل المسلمين في جزيرة العرب وقتل منهم خلقاً ، ثم قاتل أتباعه جيوش الدول العربية المجاورة في العراق والشام وغيرها ، وهذا في ما يسمى بـــ "الدولة السعودية الأولى"[1] ، فمن هنا نقول للغلاة المنتسبين إليه : عليكم أن تنظروا بنفس العين التي تنظرون بها للشيخ سيّد ودعوته ، فإن قلتم بأن سيّدا يدعوا لقتل المسلمين فالإمام محمد قتل المسلمين فعلاً في حروب بينه وبينهم ، وإن قلتم بأن هؤلاء كانوا قبوريون فهذا هو التكفير الذي رميتم به سيّد ، فالحكم بالكفر على من نحّى الشرع وحَكَم بقوانين اليهود والنصارى أظهر في كتاب الله من الحكم بالكفر على من طاف بقبر أو ترك الصلاة ، والحقيقة أن الإمام محمد كفّر من لم يحكم بما أنزل الله وأعلنه في كثير من كتاباته ورسائله ، وأعلن ذلك طلابه وأتباعه ، ولعل أوضح رسالة في ذلك هي رسالة العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ الشهيرة ، وهو من أحفاد الشيخ محمد ، وهذا بعض كلامه الذي قاله مما جعله في مراتب كفر الإعتقاد :

"الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ، ومكابرة لأحكامه ، ومشاقّة لله ورسوله ، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية ، إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا ، وتفريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما ، ومراجع ومستندات.

---

[1] – هذا اسم محدث ، والإسم الحقيقي لتلك الدولة كان "إمارة الدرعية" ..

فكما أنّ للمحاكم الشرعية مراجعَ مستمدّات ، مرجعها كلُّها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فلهذه المحاكم مراجعٌ ، هي: القانون المُلفّق من شرائعَ شتى ، وقوانين كثيرة ، كالقانون الفرنسي ، والقانون الأمريكي ، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيّأة مكملة ، مفتوحةُ الأبواب ، والناس إليها أسرابٌ إثْر أسراب ، يحكُمُ حُكّامُها بينهم بما يخالف حُكم السُنّة والكتاب ، من أحكام ذلك القانون ، وتُلزمهم به ، وتُقِرُّهم عليه ، وتُحتِّمُه عليهم .. فأيُّ كُفر فوق هذا الكفر ، وأيُّ مناقضة للشهادة بأنّ محمدًا رسولُ اللهِ بعد هذه المناقضة.

وذِكْرُ أدلّة جميع ما قدّمنا على وجه البسْطِ معلومةٌ معروفة ، لا يحتمل ذكرها هذا الموضوع.

فيا معشر العُقلاء ! ويا جماعات الأذكياء وأولي النُها !

كيف ترضون أنْ تجري عليكم أحكامُ أمثالكم ، وأفكارُ أشباهكم ، أو مَن هم دونكم، مِمّن يجوز عليهم الخطأ ، بل خطأهم أكثرُ من صوابهم بكثير ، بل لا صواب في حُكمهم إلاّ ما هو مُستمدٌّ من حُكم اللهِ ورسولهِ، نصًّا أو استنباطًا؟!!

تَدَعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم ، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم ، وفي أموالكم وسائر حقوقكم!! ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحُكم الله ورسوله، الذي لا يتطرّق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم حميد! !

وخُضوع الناس ورضوخهم لحكم ربِّهم خضوعٌ ورضوخٌ لِحُكم مَنْ خلقهم تعالى ليعبدوه .. فكما لا يسجدُ الخلقُ إلاّ للهِ ، ولا يعبدونَ إلاّ إياه ولا يعبدون المخلوق ، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلاّ لحُكم الحكيم العليم الحميد ، الرءوف الرحيم، دون حُكم المخلوق، الظلوم الجهول، الذي أهلكته الشكوكُ والشهواتُ والشبهات، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات.

فيجب على العُقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط والأخطاء، فضلاً عن كونه كفرًا بنصٍّ قوله تعالى: {ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الكافِرونَ}. (انتهى) ..

وقال في بداية رسالته " إنّ من الكفر الأكبر المستبين ، تتريل القانون اللعين ، مترلة ما نزل به الروح الأمين ، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، في الحكم به بين العالمين ، والرّدّ إليه عند تنازع المتنازعين ، مناقضة ومعاندة لقول الله عزّ وجلّ : {فإنْ تنازعتُم في شيءٍ فرُدّوه إلى اللهِ والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً}." (انتهى) ..

يقول الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسيره[1] "إن الذين يتّبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أولياءه مخالفة لما شَرَعَ الله جلّ وعَلا على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، أنه لا يَشُكّ في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم" (انتهى) ..

فهذا قول الإمام الشنقيطي في من شكّ في كفر من تحاكم بأحكام الكفار ، وليس في من تحاكم لهذه الأحكام ، فالأمر عند العلماء محسوم فيمن تحاكم إلى غير شرع الله ، ولا يشك في كفر هؤلاء الكفار إلا من "طمس الله بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم" ، وسيّد رحمه الله من الذين نوّر الله قلوبهم بنور الإيمان واليقين (نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله) ، فكيف يسكت رحمه الله على تنحية شرع الله عن واقع المسلمين وهو يعلم حكم الله في الحاكم بغير شرعه والساكت عليه ، فضلاً عن الراضي به والمنافح عنه والعياذ بالله !!

[1] – المجلد الرابع (ص 83).

إن الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد في باب العقيدة الإسلامية ، والإمام سيّد قطب مجدد في باب السياسة الشرعية ، والأمرين من صلب الشريعة الإسلامية الكاملة .. أما مسألة المفاضلة بين الرجلين فهذه مسألة لا طائل منها ولا فائدة ، فقد أفضيا إلى ربهما وهو الذي يفاضل بين عباده على أساس التقوى ، وأما مدى تأثير أحدهما على الأمة الإسلامية فهذا أيضا صعب الإدراك ، وحُكم مع فارق ، لأن الدعوتين لم تكونا في نفس الوقت ، والفرق الزمني بينهما كبير والظروف مختلفة ، فالحكم على مثل هذا غير دقيق ، ولا يستقيم أو يفيد في شيء ..

إن الدارس للمنهجين بعمق ودقة يستطيع أن يقول بكل طمأنينة بأنهما خرجا من مشكاة واحدة : هي مشكاة الدعوة الحجازية الأولى منذ أربعة عشر قرناً ، ويستطيع المرء أن يقول بكل طمأنينة بأن الرجلين عاشا للإصلاح وجاهدا من أجله ، وأنهما جددا جوانباً من الدين لا غنى للمسلمين عنها ، ومن تتلمذ على الدعوتين وعرف تراث الفريقين يستطيع أن يقول بكل طمأنينة بأن : دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب تصلح أن تكون الأرضية والقاعدة الصلبة التي يقف عليها المسلمون ، ودعوة الإمام سيّد قطب هي الإنطلاقة من تلك القاعدة الصلبة إلى أرجاء الأرض لتخليصها من طغيان واستبداد الظالمين ، ولا يستطيع أي منهج أن يبقى بدون قاعدة ثابتة راسخة ، ولا يبقى منهج بدون حركة وانطلاقة واعية ، وهذه هي العلاقة الحقيقية بين المنهجين المتكاملين اللذين هما في الحقيقة جوانب كبيرة من المنهج الإسلامي الكامل ..

* * *

ليس المقصود هنا الدفاع عن سيّد قطب رحمه الله ، فهو ليس متّهماً عندنا ، وكتُبه وفكْره أجلّ من أن يدافع عنها أمثالنا ، ولكن المقصود هنا البيان والتعريف بتراث هذا السيّد ، وبيان عظمته وعبقريّته ، ثم بيان صغر عقل من يحاول أن يناطح هذا الجبل الأشم بقرون هزيلة متهالكة ، فمن لم يفهم بعد هذا ولم يتّعض ، فنقول له : إن سيّداً – كما بيّنا آنفاً – ألّف كتباً للأطفال فارجعوا إليها علّكم تفهموها وتُدركوا بعض ما فيها ..

أما "الفطاحل" الذين انتقدوا الظِّلال وحذّروا منه حسداً وحقداً ، فنقول لهم : لا نريد أن تأتونا بتفسير مثله ، ولا رُبعه ، ولا عُشره ، ولا حتى تفسير آية واحدة مثل تفسير "الإمام السيّد المُفسّر" رحمه الله ، ولكنّ سيداً كتب مقدمة للكتاب في بضع صفحات فأتونا بمثلها إن كنتم من "أهل النقد" كما تزعمون !! ومن قصُرت همّته عن قراءة الظلال كاملاً ، فليس أقل من أن يقرأ كتاب "الوقفات الفكرية في ظلال القرآن" لجامعه الدكتور محمد علي الهاشمي ، فقد جمع نخبة طيبة من كلام الشيخ سيّد رحمه الله في الظلال ، فليقرأ هذا الكتاب ليعرف من هو الإمام سيّد قطب رحمه الله وطيّب ثراه ..

لقد عاش الشيخ سيّد في فترة عصيبة من تاريخ الأمة وتاريخ العالم ككل ، وكانت الأمة تترنّح وترزح تحت نيران الإحتلال البريطاني الفرنسي السوفييتي ثم التدخّل الأمريكي ، وكانت مساومات الحكام وعمالتهم للكفار أوضح من الشمس في وضح النهار ، وكان الناس في جهل مدقع بدينهم إلا ما كان من بعض الأفراد أو بعض الحركات الإسلامية هنا أو هناك ، ورأى الشيخ سيّد بأن الكتّاب والمثقفون في مصر وغيرها انشغلوا بأمور تافهة عن قضاياهم المصيرية ، وبنظرة سريعة على كتابات تلك الحقبة ترى كيف أن الناس اشتغلوا بتبني الإشتراكية والقومية والديمقراطية والرأسمالية ، واشتغلوا بالجدالات الأدبية (بين طه حسين والعقاد ونجيب محفوظ وأمثالهم) ..

رأى الشيخ سيّد بنظرته الواعية أن الأمة غافلة عن دينها هاجرة لكتاب ربّها ، فأراد أن يربطها بوحْيها من جديد ، فكانت كتاباته نقلة نوعية في الأدب العربي الإسلامي ، وتكمن خطورة الشيخ سيّد في أنه لم يكن كبقية الكتاب الذين وقفوا موقف المدافع عن الإسلام ، بل تعدّى الشيخ سيّد هذه المرحلة إلى مهاجمة عقائد الكفار شرقاً وغرباً بمنطق الإستعلاء الإسلامي والإعجاز التشريعي القرآني ، وكأنه جدد في الأمة قول الله تعالى {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران : 139) ، فقد كان من مكر الكفار أن يؤصّلوا روح الإستسلام والتبعية للغرب في نفوس المسلمين حتى يسهل عليهم ترويضهم واحتلالهم ، وكان هناك علماء يدافعون باستحياء عن القيم الإسلامية ، وبعضهم أراد تطويع الإسلام ليتماشى مع المفاهيم الغربية : فهذا يقول "الإشتراكية الإسلامية" وهذا يقول "الديمقراطية الإسلامية" وهذا يقول "الفلسفة الإسلامية" وهذا يؤصّل لمفاهيم "القومية الإسلامية" ، وهذا يقول بـــ "وحدة الأديان" ، وهذا ينادي بـــ "الأخوّة الدينية" بين أصحاب "الأديان السماوية" ، وهذا يُلغي أحكام "جهاد الطلب" بحجج واهية ، وهذا ينفي وجود عقيدة "الولاء والبراء" ، وهذا يستحي من ذكر "الحدود الشرعية" ، وبعضهم طوّع وحرّف الكثير من دلالات النصوص لتوافق بعض المفاهيم الكفرية !!

أتى الشيخ سيّد ليقول للجميع : إن الإسلام يَعلوا ولا يُعلى ، ومفاهيمكم هذه كلها تحت قدمي ، وليس في الأرض شيء صالح غير هذا الدين ، وهذه معالمه ، فتفيّؤوا بظِلال قرآنكم ، واتركوا تصوّرات عدوّكم ، فلا عدالة إلا في الإسلام ، ولا مستقبل إلا له ، ولا سلام إلا تحت رايته ، ومشكلات هذه "الحضارات" كلّها سببها البعد عن شرع الله الذي يجب أن يحكم الأرض من جديد ، فكان هذا الأسلوب الإستعلائي الإيماني من أشد الأخطار على اليهود والنصارى الذي كانوا قاب قوسين أو أدنى من هزيمة عقول المسلمين ..

إن لهذا الفكر الإستعلائي الإيماني مجدّدَيْن في التاريخ الإسلامي الحديث ، وفي القرن الماضي على وجه الخصوص : الشيخ سيّد قطب رحمه الله في مصر ، وأبو الأعلى المودودي في الهند ، ولا ندّعي أنه لم يكن في تلك الحقبة علماء أجلاء في جميع أقطار العالم الإسلامي[1] ، ولكن التأثير الأكبر والأظهر والأكثر كان لهذين الرجلين ، فهما بحق مجدّدان في أبواب كثيرة ، منها : فقه الجهاد[2] ، وعقيدة الحاكمية ، ونبذ الإرجاء والدعوة للعمل ، والإستعلاء الفكري الإيماني ، وخلق الثقة في قلوب المسلمين بدينهم ، ونبذ كل ما سوى الإسلام من أفكار ونظريات تغلغلت في عقول المسلمين ، وأمور أخرى كثيرة يصعب حصرها ولا يعرفها إلا من عاش أو درس تاريخ المسلمين القريب ، ولا ينفي التجديد وجود أخطاء بشرية في المجددين ، فقد قضى الله على بني البشر أن يكونوا خطّائين ..

سيّد قطب وإخوان اليوم !

الكل يعرف بأن مؤسس جماعة الإخوان المسلمين هو الإمام حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا رحمه الله ، وهذا الإمام الذي قامت على يده الصحوة في مصر وُلد في نفس السنة التي وُلد فيها الشيخ سيد قطب رحمه الله (1906م) ، فهو من أقران سيّد رحمه الله ، ولكن سيّداً رحمه الله لم يلتقي بحسن البنا مع كونهما عاشا في نفس البلد وفي نفس الفترة ، وذلك أن الإمام حسن البنا قُتل سنة (1949م) ، وكان سيّد قطب وقتها في أمريكا ، ولم يكن سيّد اتجه اتجاهه الإسلامي بعد ، وإنما قرر ذلك في أمريكا بعد أن سمع بمقتل الإمام رحمه الله وقابل رجل المخابرات

---

[1] – سبق الشيخ سيد قطب رحمه الله بعض الكتاب من أمثال : الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني (على علّاته) ، وكذلك الشيخ عبد الرحمن الكواكبي ، والبشير الإبراهيمي ، والشيخ محمد رشيد رضا ومجلته "المنار" ، وأبو الحسن الندوي ، وغيرهم ، ولكن التأثير الأكبر في العقود الأربع الماضية كان للمودودي وسيد قطب ، رحم الله الجميع.

[2] – هناك مآخذ على بعض الأفكار التي طرحها المودودي رحمه الله في باب الجهاد

الإنجليزي .. و لم يكن سيّد رحمه الله بالذي يجهل الإمام حسن البنا رحمه الله ، ولكن اهتمامه الأكبر كان منصباً على وسطه الأدبي ، ولذلك لم يكلّف نفسه عناء اللقاء بحسن البنا ..

عند رجوع سيّد رحمه الله من أمريكا تغيّر كليّاً واتجه اتجاهاً إسلامياً ، واقتربت منه حركة الإخوان التي كانت تدرس بعض كتاباته ، واقترب هو منها وتعرّف على أفرادها ورأى فيهم الصدق والحق والعمل من أجل الدين ، فكان طبيعياً أن ينخرط في صفوف الجماعة الأكبر والأكثر تنظيماً ونشاطاً وعملاً للإسلام في الساحة المصرية رغم ما علِم من سوء طويّة الحكومة ورغبتها في التنكيل بالجماعة ..

ومن الناس من يتسائل اليوم : ما بال أتباع سيّد أو من يدعي الإنتساب إليه وصل إلى ما وصل إليه !!

وهذا سؤال يسأله الكثير من الناس ، وبعضهم يجعل هذا مطعناً في الشيخ سيّد رحمه الله !! وهذا من الجهل لأنه {لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} ، فبعض من يدعي الأخذ بمنهج سيّد أو ينتسب لجماعة الإخوان ليس يتبع سيداً حقيقة ، وهذا كثير في كل الدعوات التي تجد من ينتسب إليها ..

وأمر آخر ، وهو أن كثير من علماء الإخوان – فيما بعد – تبرأوا من كتابات سيّد وعارضوها ولم يأخذوا بها ولم يعلّموها تلاميذهم وحاولوا طمسها لأنها شديدة على المخالفين (الأنظمة الحاكمة) ، وهؤلاء يريدون الإنخراط في العمل السياسي والوصول إلى السلطة أو التغيير عن طريق البرلمانات ومجالس الشعب ، وهذا يناقض ما دعى له سيّد قطب رحمه الله ..

إنه من المؤسف حقاً أن يَصْدق القول بأن : "إخوان" اليوم ليسوا "إخوان" الأمس ، ولكن عزائنا أن تراث الإمام سيّد ليس "إخوانياً" حصريّاً ، ولكنه تراث تجديدي تربوي فكري منهجي إسلامي لا تختص به جماعة ولا قُطْر ، وهذا ما حدى ببعض الناس القول بأن سيداً لم يكن من "الإخوان المسلمين" ، وهذا خطأ أيضا ، فسيّد انضم إلى الإخوان المسلمين في آخر حياته وكان

رأساً وقائداً ومنظّراً فيهم ، ولكن فِكره ليس "إخوانياً" بالمعنى الحزبي الضيّق الذي نراه اليوم ، ففكر الإمام سيّد انطلق إلى أرجاء من المعمورة لم يبلغها فكر الإخوان ، وأسَر قلوباً وعقولاً لم تعرف "جماعة الإخوان" ، وفجّر طاقات لم تصبّ في رصيد "الإخوان" فهو : "إخواني" التنظيم ، مستقلّ الفكر ، إسلاميّ الدعوة ، عالميّ النظرة ، ربّاني المنهج ..

لقد انضم الشيخ سيّد للإخوان يوم كانت الجماعة تدعوا إلى الجهاد والتضحية والمواجهة ، وهذا هدف مشترك بينه وبينهم ، وشهادته للتنظيم في آخر رسالته المشهورة "لماذا أعدموني" تدل على ما كان عليه "الإخوان" ، فقد قال "إن حركة الإخوان المسلمين كانت هي أنجح تجربة للتربية والإعداد ، وإن أي خطأ في الطريق لا يبرر تدميرها ، وخصوصاً إذا كان الخطأ منها ناتجاً من خطأ في معاملتها" .. (انتهى) ..

لكن ما أحدثه قادة التنظيم بعده لا دخل لسيّد فيه ، ولا يُحكم على الشيخ سيّد بأدبيات الإخوان الحديثة ، بل لسيّدٍ تراث مستقل واضح بيّن المعالم استفاد منه الإخوان في فترة من الفترات – عندما كان التنظيم تنظيماً "إرهابيّاً" يدعوا للجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الدين – ثم حمله مَن حمله خارج مصر والعالم العربي إلى سائر أقطار الأرض ، ولا يرفع بسيدٍ رأساً إلّا من صدّق قوله فعله ، أما الدعاوى : فكلٌّ يدّعي الوصل بليلى[1] ..

إن تراث سيّد رحمه الله يختلف عن تراث الإمام البنا رحمه الله ، فحسن البنا كان يدعوا للإشتراك في الحكومات والبرلمانات للوصول إلى السلطة وتغيير المجتمع بعد الأخذ بزمام الأمور ، ولكن سيداً كان يُعلن كفر هذه البرلمانات ويدعو إلى خلعها واستئصالها واجتثاثها من جذورها وإحلال النظام الإسلامي الكامل محلّها ، وهذا اختلاف جوهري كبير يين الرجلين ، ولعلّه أبرز اختلاف بينهما ، وهذا يدلّ على أن سيداً كان مستقلاً في الفكر والرأي ولم يكن يتبع منهج

---

[1] – طرأ تغيير على فكر الإخوان ومنهجهم الجهادي بعد أن تم تعيين عمر التلمساني مرشداً عاماً للإخوان سنة 1973م (أي بعد سبع سنوات من مقتل الإمام سيد قطب رحمه الله) ، فقد عمل التلمساني على ضمان عدم الصدام مع الحكومة وأعلن نبذ العنف والتطرّف !!

الإخوان الذي وضعه الإمام البنا رحمه الله في كل شيء ، بل كان يتبع ما رآه حقاً حسب اجتهاده وعلمه ودراسته للقرآن والسنة وأقوال أئمة الإسلام ، وهذه الإستقلالية كانت سبباً رئيساً في تألقه وإبداعه الفكري إذا أضيفت إلى رصيده الأدبي وسعة اطلاعه على علوم عصره وخاصة العلوم الفكرية والسياسية ورحلته العجيبة مع القرآن[1] ..

لو نظرنا إلى من تأثّر بسيد **وعمِل** بما أصّله لوجدناهم قلّة قليلة من الناس ، وأعظم من ترجم كتب الشيخ سيّد ومقالاته ومنهجه إلى واقع مرئي عملي هو الشيخ المجاهد عبد الله عزام رحمه الله ، فهذا الرجل حمل فقه الشيخ سيّد وفكره معه حيثما ارتحل حتى حلّ رحْله في أفغانستان ، فنشر هناك كتب الشيخ سيّد التي كان عليها إقبال كبير من جميع المسلمين بشتى اتجاهاتهم لأنها تزرع في قلوبهم روح العزة والكرامة التي غابت عن كتابات أكثر علماء ذلك العصر وكثير من كتاب هذا العصر ، فكان الجهاد الذي اختلط بمنطق الإستعلاء الإيماني هو الأخطر على الكفر العالمي ، فسيّد هو المنظّر المجدد للعزة الإسلامية ، وعزّام هو من نقل هذه العزّة من التنظير إلى حيّز العمل الجهادي المسلح المنشود ..

ومن المفارقات أن كتاب "معالم في الطريق" لسيّد كانت توزعه الحكومات العربية على الناس عامة – والمجاهدين خاصة – في الحرب الأفغانية ضد السوفييت لِما علموا من تأثيره على الناس ، ثم لمّا انتهت الحرب وبدأت المناوشات بين المجاهدين وبين الأمريكان : عملت الحكومات ذاتها على منع هذا الكتاب من النشر ، وسحبوه من الأسواق خوفاً منه وذعرا ، ثم أوحوا لعبيدهم من "علماء التسوّل" الطّعن في الشيخ سيّد وما يُمثّله سيّد ومن يزعم اتِّباع الشيخ سيّد وكل مَن (وما) يمتّ لسيّد بصلة !!

---

[1] – كتب الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس كتاباً بعنوان "منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب" أنكر فيه على الإخوان التنكر لتراث سيد رحمه الله وبين أن تراثه هو ذاته تراث الشيخ البنا رحمه الله ، ثم ذكر نماذجاً تبين تطابق أفكار الرجلين .. ويظهر من عرضه اختلاف الأسلوب والوسائل بين الرجلين – في الجملة – مع توافق الأهداف ..

فهذه الحرب على الإمام سيّد وعلى من ينتمي له فكرياً هي في أصلها حرب سياسية بحتة أعطيت صبغة فكرية عقدية منهجية بتحريض من الحكام الذين يعملون بإشارات النصارى واليهود ، ويذكّرنا هذا بتاريخ الرافضة الذين كانوا شيعة لعليّ رضي الله عنه ، وكان خلافهم مع بني أمية سياسياً في البداية ، ثم انتقل هذا الخلاف ليكون عقدياً منهجيّاً فكريّاً حتى انسلخ كثير منهم عن الدين بغية مخالفة جميع ما لدى الطرف الآخر وإن كان حقّا !! ولو أنهم قالوا : أخطأ معاوية رضي الله عنه ، وهو صحابي ذنوبه تذوب في بحر حسناته لسلِموا ، ولكنهم أبوا إلا رميه بكل نقيصة ، ومخالفته – ومن معه – في كل شيء !! وهكذا بدأت كثير من الفرق المخالفة على مر التأريخ ، فإذا غاب العدل والإنصاف وتزامن ذلك مع قلّة العقل وغلبة الهوى ، أتى الناس بالعجائب ..

* * *

الخلاصة :

كان أصل هذا البحث في قرابة ثلاثين صفحة ، ولكن اقتضى السياق الإستطراد حتى تتضح الفكرة ، ولعلي أُجمل هنا ما أردت قوله وما نقلتُ بيانه في ما سبق :

1- مرّ سيد قطب رحمه الله في حياته بأطوار ثلاثة : طور التيه ، وطور الأدب الإسلامي ، وطور الإسلام العملي أو الحركي ..
2- ما استقر عليه رأي سيّد ومنهجه هو ما كتبه في الطّور الثالث ..

3-كان سيّد قطب رحمه الله ينقّح كتبه فيحذف منها ويزيد ، وما استقرت عليه كتبه في طبعاتها الجديدة هو المعوّل عليه في بيان منهجه ، وليس من المنهج العلمي في النقد الإعتماد على الطبعات القديمة غير المنقّحة ..

4-راجعَ سيّد قطب رحمه الله كتاب الظلال إلى آخر سورة إبراهيم ، وما بعدها لم يراجعه مراجعة أخيرة ..

5-جميع كتب سيّد رحمه الله تطبع الآن في دار الشروق بالقاهرة ، وهي الطبعات الشرعية المعتمدة ..

6- كتَب سيّد قطب رحمه الله كلمات وجُمَل مبهمة في بعض كتبه تقدح في عقيدته ، وهذه يجب إرجاعها لما صرّح به في مواطن أخرى من كتبه ..

7-كان سيّد قطب رحمه الله يأخذ في الإعتبار نصائح العلماء ونقدهم ويصحّح ما يوردونه من اعتراضات على بعض عباراته ، وهذا يدل على أنه كان يتبع الحق ويريده ..

8-أهم كتب سيّد رحمه الله ، هي : الظلال (خاصة ما أتى عليه في مراجعته الأخيرة) ، ومعالم في الطريق ، ومقومات التصور الإسلامي ، وخصائص التصور الإسلامي ، ودراسات إسلامية ، وهذا الدين ، والمستقبل لهذا الدين ، والإسلام والسلام العالمي ، بهذا الترتيب ، وهذه الكتب فيها لب وعصارة منهج سيّد رحمه الله وعلمه ..

9-سيّد قطب رحمه الله بشر يُخطئ ويُصيب ، وهو ليس بمعصوم ، ولكن أخطائه قليلة تذوب في بحر صوابه ..

10-ينبغي لمن يقرأ كتابات سيّد رحمه الله أن يكون على قدر من الثقافة الشرعية والوعي ليُدرك مُراد سيّد من كلامه ، كما ينبغي أن يكون له حس أدبي واطلاع على الثقافات العامة ..

11-لو بحثنا في أكثر الإنتقادات التي وُجّهت لسيّد رحمه الله لوجدنا أن أصل هذه الإنتقادات سياسيّة أُلبسَت أثواباً مختلفة ، معظمها يصب في مصلحة أعداء الأمة ..

12-لعل تسليط الضوء على بعض أخطاء سيّد رحمه الله في بعض كتبه القديمة هي محاولة من بعضهم لصرف الناس عن كتب سيّد المهمّة : كالمعالم والخصائص والمقومات والرسائل ..

13-ينبغي الإعتناء بتراث سيد رحمه الله لأنه يودع في قلوب المسلمين الإعتزاز بدينهم وبهويّتهم وعقيدتهم و يبيّن عظمة هذا الدين وإفلاس غيره من المعتقدات والأديان ، وهذا ما تحتاجه الأمة في عصرنا هذا ..

وهناك نقاط أخرى ذكرتها في ثنايا البحث لا تخفى على ذي لب ، وهي في مجملها تدور حول النقاط المذكورة أعلاه ..

لعلنا نختم هذه الرسالة بكلمات خالدة للشيخ سيّد قطب – رحمه الله – قالها قبل إعدامه :

فقد أتاه أحد الضبّاط أثناء المحاكمة و سأله عن معنى كلمة "شهيد" ، فقال : "**شهيد : يعني أنّه شَهِدُ أن شريعة الله أغلى عليه من حياته**" ..

وسأله أحد إخوانه : لماذا كنتَ صريحاً كل الصراحة في المحكمة التي تملك رقبتك ؟! قال الشيخ سيّد : "**لأن التورية لا تجوز في العقيدة ، وليس للقائد أن يأخذ بالرّخص**" ..

ولمّا سمع حكم الإعدام عليه قال : "**الحمد لله ، لقد عملتُ خمسة عشر عاماً لنيل الشهادة**" ..

وعندما طُلب منه الإعتذار مقابل إطلاق سراحه ، قال : "**لن أعتذر عن العمل مع الله**" ..

وعندما طُلب منه كتابة كلمات يسترحم عبد الناصر ، قال : "**إن أصبع السّبّابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ، ليرفض أن يكتب حرفاً يُقرّ فيه حكم طاغية**" ..

وقال : "**لماذا أسترحم : إن سُجنت بحق فأنا أقبل حكم الحق ، وإن سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل**" ..

وأتاه أحد الضباط قبل أن يُشنق بقليل ليكتب الشيخ سيّد بضعة كلمات فيُفرج عنه ، وكانت تلك الكلمات "كنتُ مُخطئاً وإني أعتذر" ، فابتسم الشيخ سيّد رحمه الله وقال له بهدوء عجيب "**أبداً ، لن أشتري الحياة الزائلة بكذبة لن تزول**" ، فقال له الضابط "ولكنه الموت يا سيّد" ، فقال الشيخ سيّد رحمه الله "**يا مرحباً بالموت في سبيل الله**"

قال الأستاذ أحمد رائف : قابلت سيد قطب في السجن بعد محاكمته والحكم عليه بالإعدام ، فقلت ، له : ماذا تنتظر يا أستاذ سيد ؟ فقال "**انتظر القدوم علي ربي**" !!

وختَم الشيخ سيّد حياته وهو في طريقه إلى حبل المشنقة بابتسامة التقطتها آلات المصوّرين لتنشرها في الجرائد والمجلات والكتب والدراسات ، حتى قال الشاعر في هذه الإبتسامة العجيبة الهادئة :

يـــا شهيداً رفـــعَ الله بـــه ... جَبْهة الحقّ على طول المدى
سوف تبقى في الحنايا عَلَماً ... حادياً للرّكب رمزاً للفِدى
ما نسِينا ، أنت قد علّمتنا ... بَسْمة المؤمن في وجهِ الرَّدى

* * *

وهذه كلمات لسيّد قالها في حياته ، كأنه يصف نفسه بعد مماته ، كلمات لا زال الناس مبهورون بقوّتها وصدقها وجمالها وإبداعها التعبيري وحقيقتها .. كلمات حيّة من إنسان حيّ ، كلمات خطّتها يراعه في كتاب له يتحدّث عن حقيقة القوة الكامنة في كلمة الحق ، فقال رحمه الله :

"إنه ليستْ كلّ كَلِمة تبلغ إلى قلوب الآخرين ، فتُحرّكُها وتجمعُها وتدفعُها ، إنها الكلمات التي تقطُر دماءً ، لأنها تقْتات قلب إنسان حيّ ..

كل كلمة عاشت ، قد اقتاتت قلبَ إنسان ..

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً ، ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارَهم من لحومِهم ودمائِهم .. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويُقدّموا دمائهم فداء لكلمة الحق ..

إن أفكارنا وكلماتنا تظلّ جثثاً هامدة ، حتى إذا متنا في سبيلها وغذّيناها بالدماء ، انتفضتْ حيّة ، وعاشت بين الأحياء" [1] ..

---

[1] – من كتابه :دراسات إسلامية ، وبعض الناس ينسبها للشيخ عبد الله عزام رحمه الله ، وواضح أن الشيخ رحمه الله اقتبسها من كلام سيد رحمه الله ..

لقد عاش الإمام سيّد قطب رحمه الله حرّاً في زمن العبودية للتيارات والأفكار البشرية ، ومات حراً في زمن الإستسلام للطواغيت الجاثية على رقاب الأمة الإسلامية ، وكتب بمداد دمه على صفحات التأريخ أسطراً من التضحية لترثها الأجيال المسلمة المتعاقبة تُحيي فيها القيم الربانية السامية ، وتقول لها : اضربوا بسيوف العقيدة رأس كل طاغوت ، وكسّروا بمطارق الجهاد كل القيود ، وحرّروا بالإستعلاء الإيماني البشريّةَ من كل ما سوى الله من معبود ، وأعلنوا في الأرض "الله أكبر" إرهاباً لأعداء الله وإرغاماً لكل حسود ، ولا تتوقفوا عن الزحف حتى تلقوا الله وقد تقطّعت أشلائكم وسُفكت دمائكم ، عَلّه يرضى عنكم ، فرِضى الله لا يُنال بالسُّكون ، فلا بد من الحركة ، والحياة الحقّة : في طلب المنون ..

لست أوّل – ولا أظنني آخر – من يكتب عن الإمام سيّد قطب رحمه الله ، فلا يُحصي إلا الله عدد من كتب وتكلّم وأثنى على هذا الرجل الجليل ، ولست في عداد من أحسن في عرضه بعض مناقب الشيخ سيّد الكثيرة ، ولكن من خصائص المتطفلين إقبالهم على الموائد دون دعوة ، وعدم مبالاتهم بمن حولهم وهم يلتهمون ما في القصعة ، ولعل هذه الكلمات قطرة في بحر الدراسات التي تناولت حياة الشيخ الإمام سيّد قطب رحمه الله ..

قال الشيخ الجليل أبو الأعلى المودودي رحمه الله حين سمع بخبر إعدام الإمام سيد قطب رحمه الله "**إن هذه الشهادة ليست شهادة الأفراد ، وإنها ليست هدراً للدماء وعبثاً بالحقوق البشرية والكرامة الإنسانية فحسب ، وإنها ليست همجية وعداء سافراً للإسلام فحسب ، بل إنها خسارة فادحه للدعوة الإسلامية والعلم والدراسة والبحث والأدب والنقد ، ومأساة علمية ضخمة ، إن سيد قطب من أولئك الأفذاذ الذين يسعد بهم العالم الإسلامي ، وهو في الطراز الأول من صفوة الدعاة ورجال الفكر والأدب الذين تحظى بهم الأمم بعد فترات طويلة**" ..

اللهم ارحم سيّداً وتقبّله في الشهداء وارفعه في علّيّين مع النبيين والصديقين ، وارحم إخوانه وأخواته ووالديه وسائر أهله ومن أحبّه ..

اللهم إنا نُشهدك بأنا نحبّه ونتولّاه لما قدّم لدينك ، وبما رفع من الجهل عن أمة نبيّك ، اللهم تقبّل شهادتنا فيه ، وأكرم نزله ووسّع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقّه من الخطايا والذنوب كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خير من داره ، وأهلاً خير من أهله ، واجعل طعن من يطعن فيه زيادة في حسناته ، وارفعه في الآخرة كما رفعته في الدنيا يارب العالمين ..

والله أعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم ..

كتبه

حسين بن محمود

شعبان سنة 1429هـ